الخدمة الإجتماعية الناهضة

مجالات مهنة واستنارة عقل

الدكتور عقيل حسين عقيل

طرابلس ،ليبيا
2023

الخدمةُ الاجتماعيَّة النَّاهضة

(مجالاتُ مِهنة واستنارةُ عقل)

أ د. عقيل حسين عقيل

طرابلس ليبيا

2023م

المحتويات

المقدِّمةُ 4
المهنة النَّاهضة..10
المجالُ المهني النَّاهض 12
الاستنارةُ 13
العقلُ استنارةٌ 15
المجالاتُ القيميَّة للخدمةِ الاجتماعيَّة النَّاهضة.......................19
مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة النَّاهضة 21
مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة 33
مجال العلائق القيميَّة النَّفسيَّة.......................................45
مجال العلائق القيميَّة السِّياسيَّة 55
مجال العلائق القيميَّة الذّوقيَّة.......................................66
مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة.......................................76
النُّهوض مِنَ الاستظلامِ إلى الاستنارة 92
النُّهوض عن استنارةُ ودراية 116
النُّهوضُ استنارةُ عقل 128
النُّهوضُ استنارةُ رفعة وسِّيادة 155

صدر للمؤلّف 174
المؤلَّفاتُ...176
المؤلّفُ في سطورٍ 198

المقدِّمةُ

الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة استنارة لم تعد تلك المهنة المستقرّة على تلك المفاهيم، وكأنَّها ثوابت منزَّلة من السَّماء، بل إنَّها على علمٍ ومعرفةٍ أنَّ كلّ شيء قابل لأن يتغيَّر إلى الأفضل والأجود؛ ذلك لأنَّ مستهدفاتها النَّهوض بالأفراد والجماعات والمجتمعات وفقًا لكلِّ خصوصيَّة.

ولأنَّها لا ترى الإنسان إلَّا قيمة ثمينة، فهي تعمل على الحفاظ عليه قيمة، دون أن تغفل عن أهميَّة النَّهوض به إلى ما ينبغي أن يكون عليه قيمة رفيعة.

ومن هنا وجب تصحيح المفاهيم، التي كانت ترى تقديم المساعدة حلًّا، إلى النَّظر إلى المساعد وكأنَّها حالة اسعاف قبل التمكّن من تقديم العلاج والوصول إلى الحلِّ.

إنَّ هذا الأمر يتطلَّب العمل على إنارة عقول المتخصّصين بالمعارف والعلوم النَّاهضة، وكذلك إنارة عقول العملاء بالقيم التي تمكّنهم من التطلُّع إلى مستقبل أكثر تقدُّم ونهضة.

ولكي يتأتَّ لنا النُّهوض بالعملاء؛ فعلينا أن نبدأ معهم من حيث هم علّة وسببًا، حتى نتمكَّن معهم من تغيير أحوالهم إلى ما يمكِّنهم من إحداث النُّقلة رغبة وإرادة.

وحتى يتمكّن الأخصائيُّون الاجتماعيُّون من ممارسة العمل المهني نهضة ورفعة، فليس لهم إلَّا العمل من خلال مجالات الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة، الممكِّنة من النُّهوض بالأفراد والجماعات والمجتمعات علمًا ومعرفة واستنارة، مع العلم أنَّ هذه المجالات هي إضافة جديدة لم تكن من ضمن مجالات المهنة؛ ولهذا لقد أصبح للنُّهوض المهني معطيات كفيلة بإحداث النُّقلة وتبوء المكانة.

أ د. عقيل حسين عقيل

طرابلس ليبيا

2023م

الخدمةُ الاجتماعيَّة النَّاهضة

الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة مهنة، لها تنظيمًا مؤسّسيًّا، وتهتم بدراسة السُّلوك الإنساني للأفراد والجماعات وتنظيم الشُّؤون الحياتيَّة للمجتمع، ولها من الطُّرق ما لها، ولها من الأساليب المرنة ما لها، ولها منهج دراسة يمكّن من التحليل والتشخيص ومعرفة الإصلاح والعلاج وإيجاد الحلول، وهي تهدف إلى إحداث التغيير الاجتماعي النَّاهض؛ وذلك من خلال البدء مع الأفراد والجماعات والمجتمعات من حيث هم، بغاية أخذهم مشاركين فيما يجب أن يكونوا عليه رفعة.

وورد في معايير الخدمة الاجتماعيَّة للقوى العاملة في أمريكا تعريف الاتحاد القومي للأخصائيين الاجتماعيين الأمريكي (NASW) بأنَّ الخدمة الاجتماعيَّة هي: النشاط المهني لمساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات لتعزيز وتدعيم قدراتهم على أداء وظيفتهم الاجتماعيَّة، وإيجاد ظروف اجتماعية مواتية ومؤيدة لهذا الهدف، وتتألف ممارسة الخدمة الاجتماعيَّة من التطبيق المهني لقيم الخدمة الاجتماعيَّة ومبادئها ووسائلها الفنية لواحد أو أكثر من الغايات التالية:

1 . مساعدة الأفراد في الحصول على خدمات ملموسة وفعَّالة.

2 . تقديم المشورة والعلاج النَّفسي للأفراد والأسر والجماعات.

3 . مساعدة المجتمعات والجماعات على تقديم أو تحسين الخدمات الاجتماعيَّة والصّحيَّة.

4 . المشاركة في عمليَّات وضع التشريعات المتعلّقة بالنواحي الاجتماعيَّة.

وعليه: فإن الخدمة الاجتماعيَّة مهنة تأسست على قيم ومبادئ مستمدَّة من نظريَّات اجتماعيَّة ونفسيَّة يمارسها أخصائيُّون اجتماعيُّون معدّون إعدادًا علميًّا وفنيًّا ومهارتيًّا على كيفيَّة التعامل موضوعيًّا وسُلوكيًّا مع الحالات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة بعد دراستها دراسة موضوعيَّة وافية.

ولذا فالخدمة الاجتماعيَّة تهتم بدراسة الحالات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة؛ لكي ترى مدى فعاليَّة الطُّرق التي من الممكن تقديمها لتطوير مجتمع معين؛ حيث الخصوصيَّة لكل حالة فرديَّة، ولكل حالة جماعيَّة، ولكل حالة مجتمعيَّة، ولهذا تهتم مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة بمعرفة الطُّرق المناسبة للتعامل مع هذه الخصوصيَّات بغاية التطوير وإحداث التغيير الممكّن من إحداث النُّقلة والنَّهضة.

ومن هنا تقوم الخدمة الاجتماعيَّة بتحفيز المهارات والقدرات للأفراد، ثمَّ تعمل على تطورها وتحقيق أعلى درجات المنفعة، ومعرفة حلّ المشكلات التي تواجه الأفراد والجماعات والمجتمع دون حياد عن الموضوعيَّة وأخلاقيَّات المهنة النَّاهضة.

وعليه فإنَّ نهوض مهنة الخدمة الاجتماعيَّة يتمركز على الآتي:

. نهوض فكري؛ كونها المتطلِّعة لإحداث التغيير إلى الأفضل والأجود فكريًّا.

. نهوض قيمي؛ كونها المتطلِّعة لإحداث التغيير إلى الأفضل والأجود قيميًّا؛ ذلك لأنَّها الآخذة بأيدي العملاء، بغرض العودة بهم إلى تلك القيم التي تحصّنهم من الانفلات والانحراف، ثمَّ تلفت انتباههم إلى أهميَّة القيم التي بها يتدافعون على إحداث النُّقلة نهوضًا.

. نهوض مهني؛ كونها تصقل الأخصائيين الاجتماعيين مهنيًّا وتعدّهم برؤية متطلّعة؛ ذلك بغاية بلوغ المأمولات النَّاهضة ونيلها فكرًا ومنهجًا وأسلوبًا مع وافر الدِّراية والاستنارة.

. نهوض مستهدفاتها؛ كونها النَّاهضة بالعملاء من المستوى الذي هم عليه عملاء، إلى المستوى الذي سيصبحون عليه مواطنين أسوياء، ومشاركين فاعلين في نهضة المجتمع.

ومن هنا فإنَّ المهنة النَّاهضة هي المتطلّعة امتدادًا حتى تصل بالإنسان إلى ما هو نافع ومفيد، ولذا فلا عيب أن يتطلَّع الفرد والجماعة والمجتمع إلى تجارب الآخرين للتعرُّف عليها وعليهم، واستيعاب ما ينفع ويفيد منهم، مع الاستثناء بالتخلي عمَّا هو ضار وغير مفيد.

ومن هنا تُعد قراءة التَّاريخ والتعرَّف على ثقافات وحضارات الشُّعوب ذات فائدة للمزيد المعرفي؛ ولا تكابر الشُّعوب في أن تتَّصل مع الآخر من أجل أن تستفيد بكل ما يُسهم في تطوّر حياة أبنائها؛ فلا داعي للمكابرة، ولا داعي للتردُّد الذي يجعل البعض على حالة من السُّكون؛ ولذا فمن يقرأ التاريخ يعرف أنَّ الشُّعوب والحضارات دائمًا في حالة اتصال وتواصل من أجل إحداث النُّقلة للمستقبل الأفضل.

إنَّ الذي يُعطي للتطلُّع قيمة، هو المعرفة الواسعة التي تقدّر الظروف والمواقف هي كما هي، حتى تستطيع تغييرها إلى الأفضل والأجود والأنفع ومن ثمَّ تؤهِّب أصحابها إلى إحداث النُّقلة المتطلَّع إليها.

وعليه فالإنسان المتطلّع تأهّبًا للحقيقة بمنطق قيميّ معرفي، هو في حالة تطلّعيّة، أي إنَّه في حالة النُّقلة من التمركز على الذّات إلى حالة الاتزان النفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه ومعتقداته، ثمَّ يتفاعل مع كلّ ما هو مفيد لدى الآخر، وليس بمنغلقٍ على تراثه وثقافته وعلمه، بل هو من يكون في حالة امتداد موجب مع الثقافات والعلوم والأفكار الإنسانية الأخرى، وفي الوقت ذاته لا يُفرّط في خصوصيّته الذَّاتيَّة التي جعلت له تاريخًا وفيه ما فيه من الكنوز المعرفية والقيمية.

إذن: الشخصيَّة المتطلّعة هي الشخصية التوافقيّة، التي تستوعب قيم وفضائل (الذَّاتيَّة) وتتفتّح بإرادة ومنطق على الآخرين دون أحكام مسبقة؛ وذلك لاعتمادها قيمة الحرّيّة في كلّ اختياراتها؛ فهي تتفاعل مع الحقّ

والعدل والواجب والمسؤوليَّة على مستوى الذَّات ومستوى الآخر، وعندما تتأهّب الشخصية لتجسيد هذا المفهوم التطلُّعي توصف بأنَّها متطلِّعة ومستواها الفكري هو على المنطقيّة.

وهنا الشَّخصيَّة المتطلِّعة لا تقتصر أهدافها وغاياتها على الظَّرف الآني، بل تمتدُّ منه إلى ما هو مستقبلي، فتتأهّب لتحدّي الصِّعاب وبلوغ المأمول ونيله.

المهنة النَّاهضة:

المهنة النَّاهضة هي تلك المهنة التي لا تلتفت إلى الخلف إلَّا لاستمداد العبرة والحكمة منه، فهي المهنة التي أمامها مستهدفات ناهضة ومن ورائها أغراض وغايات عظيمة. مهنة لا ترى الإنسان إلَّا قيمة في ذاته وقد خلقه الله تعالى في أحسن تقويم، أمَّا ما يحدث معه، أو يطرأ له، وما يعترضه من معيقات فهي أمام المهنيين لا تصمد كونهم المعدّون لتحدِّي الصِّعاب وكسر قيودها.

ولذا فالمهنة صفة لِمن يُعد ويؤهل نظريًّا ويُدرَّب عمليًّا على مزاولة ما تمَّ أن تعلَّمه وألمَّ به، مثلما هو حال المحامين والأطباء والأخصائيين الاجتماعيين، وعلى ضوء فلسفتها ومبادئها وأهدافها يُصقل سلوك الأفراد والجماعات، وهي تتعدد وفقًا لكل تخصص، وعندما يتم التقيد بمبادئها والأهداف التي من ورائها تصبح التزامًا أخلاقيًّا يُعاقب من لا يحترمه أو يقدّره من الممتهنين، ولذا دائمًا المهنة تُعزّز بجدارة المؤدين أو الممارسين لها

وتتطوّر عبر الزَّمن حتى يتم تقديم خدمات تنافسية ناجحة ومتميزة من قبل الذين يمتهنونها بكفاءة، وتقام المؤسّسات المتبنّية للمهن وينتمي المتخصِّصون إليها وفقًا للتشريعات القانونية التي تمدهم بالاعتراف وتُجيز لهم العمل في الميادين الخدميَّة والانتاجيَّة.

وعليه فإنَّ المهنة النَّاهضة هي التي تتفهّم المعطيات وتقبل الواقع كما هو ولا تقبل البقاء عليه متخلّفًا؛ ولذلك التفهم إلمام بالموضوع والظروف المحيطة به والمعطيات التي أظهرته على السطح أو أنتجته بين الأيدي، وهو دراية عن كتب ومعرفة تامة بأسبابه وعلله ومبراته وخفاياه المؤلمة والمفرحة السَّالبة والموجبة.

إنَّه تقدير للظروف التي أثرت في الحالة، أو أثرت على سلوك العميل وفعله، وهو دراية بما ينبغي أن يتم حيالها، وكيف ومتى وأين يتم؟

التفهُّم قيمة تقديرية يُقدِّر فيها الأنا الآخر، ويفسح له مجالًا واسعًا يسمح له بالحركة والامتداد الحرّ، وباعتماد التفهُّم قيمة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات تقدّر ظروف كل خصوصية وتحترم مما يؤدّي إلى تفعيل مبدأ التقبُّل الذي يترتَّب عليه تأثير وتأثر موجب، وتخفيف للآلام وعلى ضوئه يتحقق التوافق الاجتماعي.

التفهّم قيمة الإلمام بالموضوع والظّروف المحيطة به والمعطيات التي أوجدته وأظهرته على السّطح، وهو دراية عن كثب، ومعرفة تامّة بالأسباب والعلل والمبررات والخفايا السّالبة والموجبة.

أمَّا استشعار التفهّم مبدأ لطي الهوة بين الأنا والآخر، فإنّه تقدير للظروف التي أثرت على الحالة أو أثرت على السُّلوك أو الفعل والعمل، وهو دراية بما ينبغي أن يتمّ حيالها، وكيف ومتى وأين يتمّ؟

فاستشعار التفهّم مبدأ به يُقدِّر الأنا الآخر عندما لا يكون تمدده على حساب تمدّد الغير، وباعتماد التفهُّم قيمة مفضّلة بين الأنا والآخر تقدّر ظروف كل خصوصية وتحترم؛ مما يؤدّي إلى تفعيل مبدأ التقبّل الذي يترتب عليه تأثير وتأثر موجب، وتخفيف للآلام وعلى ضوئه يتحقّق التوافق الاجتماعي.

ولأنَّ التفهّم قيمة فالاستشعار به مبدأ، ولهذا إن أردنا تفاعلا وتوافقا أو تكيّفا ونجاحا علائقيا فعلى الأنا أن يظهر تفهّمه لظروف الآخر من خلال استشعاره بما يظهره تجاهه من تفهّم، ومن خلال تقديره للحقائق (هي كما هي) لا كما يجب أن تكون عليه، فما يجب أن تكون عليه هو الذي يستوجب استشعار التفهّم تقديرا للظّرف أو الخصوصية[1].

المجالُ المهني النَّاهض:

المجال المهني النَّاهض هو المجال المستوعب لأهل التخصُّص وأهل المعرفة والدِّراية، وهو المجال الذي لا يعرف السُّكون والرُّكون إلى ذلك المتوفّر فقط بين الأيدي، بل دائمًا المتخصِّصون رجالات وبه ناهضون.

---

[1] عقيل حسين عقيل، مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 27، 2018م.

ولذا فمجال مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة هو ذلك الميدان الذي تتمدّد فيه حيويَّة المهنة علمًا ودرايةً ومعرفةً واستنارةً؛ حيث الاهتمام بقيمة الإنسان وفي كل المجتمعات مع مراعاة الخصوصيَّة الثَّقافيَّة والدِّينيَّة والعرفيَّة والفكريَّة أو العقائديَّة؛ ولذلك فمجال الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة مجالٌ قيمي؛ إذ لا قيمة للإنسان إلَّا بأثر القيم الخيِّرة عليه.

ولهذا فالمجال المهني سعة استيعابيَّة تحتوي كلّ المتغيرات المهنيّة للخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة فكرًا وممارسةً.

ولذلك فالمجال المهني النَّاهض هو المجال المتطوّر الذي فيه الأخصائي والمتخصّص مهنيًّا يدرك أنَّه بإمكانه أن يعمل ما من شأنه أن يمكّنه من إدراك المزيد العلمي والمعرفي حتى يزداد علمًا ومهارةً ومعرفته وارتقاءً.

الاستنارةُ:

الاستنارة استجلاء الاستظلام وبقاء النُّور مرشدًا، لمن شاء الاهتداء بنوره، حتى تزاح العتمة التي تحول بين النوُّر ونفاذه لمن هم في حاجة إليه استرشادًا؛ ومن ثمَّ فالاستنارة أخذٌ مِن نُورٍ.

ومع أنَّ الاستنارة استمداد النُّور من مصادر نوره، فإنَّها لا تكون إلَّا عن علمٍ أو دراية، ومع ذلك العلم ليس بالدِّراية؛ فالعلم لا يكون إلَّا من عليمٍ أو عالمٍ، أمَّا الدِّراية فلا تكون إلَّا من مُدرٍ مستنير.

وعليه فإنَّ الفارق كبير بين مفهوم الاستنارة، التي لا تكون إلَّا عن استجلاءٌ بيّنة ورؤية؛ حيث لا استظلام، وبين مفهوم الإنارة التي لا تكون إلَّا في وسط ظلمة.

ولأنَّ الاستنارةُ لا تكون إلَّا عن وعيٍ ودرايةٍ؛ فهي ترشد إلى ما يجب اتباعه، وترشد أيضًا إلى ما لا يجب اتباعه؛ ومن هنا فالواعون لا يقدمون على مخالفة منظومة القيم التزمًا بقيدها خُلقًا، وفي المقابل عقول غيرهم ممن هم دونهم قيمًا لا تخشى قيد القيم، بل تقدم على كسره دون أن تنتظر وقتًا؛ ومن ثمَّ فلا استنارة.

ومن هنا فإنَّ لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة منهجًا يعتمد طريقة دراسة الحالة والتتبُّع التاريخي لها من أجل تقصي المعلومات المتعلّقة بالحالة المبحوثة وسبر أغوارها سواء أكانت حالة فردية أم جماعية أم مجتمعية، مع تركيزها مهنيًّا على المنهج التحليلي، وتحليل المضمون الذي يُمكِّن الأخصائيين الاجتماعيين من تتبُّع مكامن العلل والأسباب ويُمكِّنهم من تشخيص الحالات وتحديد معالجاتها بكل موضوعيَّة.

ولذلك فالبحث في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة جهود مقنَّنة تُبذل للتعرُّف على ما لم يُعرف بالتمام مسبقًا، وتقصي دقيق، وتتبع واعي وفق خطَّة مؤسَّسة على أهداف موضوعيَّة وفروض في دائرة الممكن.

ولأنَّ الدِّراسة هي معرفة ما هو كائن، فالبحث هو معرفة ما سيكون أو ما ينبغي أن يكون.

إنَّه التتبُّع الدَّقيق والتقصّي الواعي للعلاقات ذات الأثر السَّالب أو الأثر الموجب، وكشف ما ستضيفه جديدًا على الحياة الاجتماعيَّة والانسانيَّة، وتصاغ للبحوث الفروض العلميَّة التي تستوعب الجزء المتعرّف عليه وتتطلّع للجزء المفقود حتى تكتمل المعرفة ويتم بلوغ الحقيقة المتعلقة بموضوع البحث، ما يجعل بلوغها يؤدّي إلى الإضافة الجديدة التي لم يسبق لها وإن وجدت، وقد تكون النتائج المتوصل إليها بالبحث العلمي إضافة جديد بكاملها وليس إضافة جزء مفقود لجزء معروف أو متوفر، وفي مثل هذه الحالات تصاغ التساؤلات بدلًا من أن تُصاغ الفروض.

البحث يؤدّي إلى إضافة جديدة لمعرفة سابقة، وقد تكون النتائج المتوصل إليها تصحيح لمعلومات سابقة، أو إبطال قاعدة من القواعد التي كان يُعمل بها، فالبحث لأجل التعرُّف على الجديد وإضافته لدائرة المعارف العلميَّة.

ولذا فالدِّراسة تجرى على الشيء الموجود، والبحث جهود تبذل من أجل معرفة الشيء الغائب؛ ولهذا تجرى الدراسات لأجل التعرّف على ما هو كائن وتصحيح انحرافاته مع إعطاء مؤشرات لِما ينبغي إن يخضع للبحث الموضوعي، وتجرى البحوث لأجل الجديد وتتطلّع إلى النافع المفيد.

العقلُ استنارةٌ:

استنارةُ العقل مع أنَّها لا تكون إلَّا عن وعيٍ ودرايةٍ وترشد لما يجب اتباعه، فإنَّها ترشد أيضًا إلى ما لا يجب اتباعه بوضعها علامة: (قف) قيدًا

دونه؛ ومن هنا فالواعون لا يقدمون على مخالفة منظومة القيم التزمًا بقيدها خُلقًا، وفي المقابل عقول غيرهم ممن هم دونهم قيمًا لا تخشى قيد القيم، بل تقدم على كسره دون أن تنتظر وقتًا.

فعندما تظل الشُّعوب منتظرة لاستيعاب الثّقافة بغاية كسر قيدها، فإنّها ستكون في حاجة لمزيدٍ من الوقت؛ وفي المقابل عندما تعي الشُّعوب الحقيقة تُصبحُ قادرة على تجاوز الواقع وإحداث النُّقلة؛ ومن ثمَّ فزمن الانتظار لن يجد مكانًا له ليحل فيه أمام الدّراية التي بتجاوزها لزمن الأميَّة تتجاوز زمن الثّقافة والوعي؛ فالدّراية تجاوز معرفي لكلِّ ما من شأنّه أو يوصف جهلًا، أو أميَّة، أو علمًا، أو فكرًا وثقافةً وهي التي تحدثُ النُّقلة من معرفة الممكن إلى معرفة المعجز والمستحيل.

ولذا فالشُّعوب العربيّة التي كشفت حقيقة حُكَّامها كرهًا؛ ثارت على زمنهم بلا رأفة، وطوت صفحاتهم: (ثورةُ وعي ولا قيد ثقافة)، ومع أنَّ الثقافة استنارة عقلٍ، فإنَّها أمام العقل قيدٌ على ما ينبغي اختياره والإقدام عليه، وما لا ينبغي اختياره والإحجام عنه؛ ومن هنا فعندما تغيب الدّراية يصبح زمن الانتظار معطية من معطيات الأميَّة التي لا تملَّ من الانتظار وإن طال زمنه، ولهذا فالزّمن قادرٌ على قيد الأميّة وتجاوزها وعيًا، أمَّا الأميَّة فلا إمكانيّة لها بذلك؛ ذلك لأنَّ أهل الأميّة غير قادرين على إحداث النُّقلة وصُنع المستقبل أملًا ومأمولًا.

ولأنَّ الوعي استنارة لا يقيده الزَّمن فهو العقل ولا قيد عليه، وفيه يتساوى الأمي معرفة مع من يدري ويتدبَّرَ؛ أي: يتساوى الأمي فيه مع من تعلّم وتثقَّف ودرى؛ قال تعالى: {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}[2]، في هذه الآية الكريمة ارتبطت الأذن مع الوعي ولم تستقلّ عنه، وهنا فهي الأذن المميّزة لما تسمعه أو تنصت إليه؛ إنَّها المميزة بين المسموع معرفةً والمتجاوزة له؛ كونها الأذن الواعية التي لا تأخذ بالمسموع إلَّا دراية.

ولأنَّ الوعي يُمكّن من معرفة الحقيقة المراد البحث عنها، فإنَّه المؤدّي إلى الفطنة الممكِّنة من التمييز واتخاذ القرار المناسب حتى وإن كان صاحبهُ أميًّا، فالحقيقة كما يلمّ بها الأمي ويعرفها يلمّ بها كلًّا من المتعلّم والمثقّف ويعرفانها، وبخاصّة في الزَّمن الذي لا شيء فيه يُخفى؛ إذ كلّ شيء على البلاطة.

والوعي لا يقتصر على المتعلّمين والمثقّفين، بل الأميون لهم من الفطنة ما لهم؛ ذلك لأنَّ الوعي والفطنة لا يقتصران على من تَعلّم، فمع أنَّ المتعلمين تحصَّلوا على رخص قيادة (شهادات ومؤهلات جامعيّة وعليا) فإنَّ بعضهم لا يستطع أن يقود وسط الازدحام.

ولهذا فالوعي ليس دائمًا مولود تعليمٍ، فمن المتعلّمين مَنْ لا ثقافة لهم ولا وعي ولا دراية، وفي المقابل من الأميين ما لهم من الحكمة والمعرفة ما

---

[2] الحاقة: 12.

لهم، ومع أنَّ كيفيَّة البحث والتقصي عن الحقيقة في المدارس والجامعات منهجيًّا تُعلّم، فإنَّ الحقيقة عبر التَّاريخ تروى وتسمعها أذنٌ واعية.

ومع أنَّ الأذن الواعية تسمع فتتعظ وتتدبّر، فإنَّ الأذن غير الواعية وإن سمعت فإنَّها لا تتعظ ولا تتدبّر؛ ولهذا جاء قوله تعالى {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}، ففي هذه الآية الكريمة جاء الوعي مرتبطًا بالسّمع ولم يأتِ مرتبطًا بالأذن السَّامعة؛ إذ جاء ارتباط الأمر بالسّمع وليس بالأذن؛ ذلك لأنَّ الوعي مقدرة على التمييز بين ما يجب وما لا يجب أخذًا وانتهاءً.

ومع أنَّ الأذن في دائرة الممكن تسمع ما يقال أو تستمع إليه، فإنَّ الأذن الواعية لا تأخذ بكل ما تسمعه، فهي وإن سمعت قادرة على الغربلة والتفحّص والتمييز؛ ولذا فبمعرفة الحقيقة يستوي وعي الأمّي مع وعي من تعلَّم وتثقّف ودرى؛ ومَن غفل منهم بأيّ علّة فقد استوى في غفلةٍ مع غيره؛ ومن هنا فالعقل قيد أمّيّة ودراية.

فالعقلُ دراية هو تلك الحيويّة المستنيرة وعيًا، وهو الذي يعلم بالشيء بعد أن كان لا شيء ومجهولًا، كما أنَّه يعلم الحكمة التي تُخفي من ورائها سرًّا.

والعقل دراية ليس ذلك العقل الممنهج برؤية تعليميَّة وثقافيَّة، بل هو ذلك العقل المتجاوز لدائرة الممكن تحدٍّ وخوارق، إنَّه العقل الممكَّن من دخول دائرة المعجز؛ ومن هنا فالأنبياء والذين يلمون بالمنزّل ويؤمنون به هم أصحاب العقول الدَّارية.

المجالاتُ القيميَّة للخدمةِ الاجتماعيَّة النَّاهضة

المجالاتُ القيميَّة للخدمةِ الاجتماعيَّة هي مجالات امتداد المهنيَّة التي يقوم بها الأخصائي الاجتماعي ويمارسها على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي، وهي مجالات العمل المرسّخ لقيمة الإنسان الذي خَلقه الله في أحسن تقويم.

ولأنَّ الله تعالى خلقه في أحسن تقويم فليس له إلَّا القبول بتحدِّي الصِّعاب، التي تحدِّها يستوجب مزيدًا من الجهد دون أن تكون مستحيلة التحقّق؛ فهي التي تواجه من يعمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها صبرًا ومزيدًا من الثبات، وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به، ولا مستحيل في دائرة الممكن حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها؛ ومن هنا وجب العمل على تذليل الصِّعاب؛ كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصِّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لابدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه فينبغي تحدّي الصِّعاب تهيؤًا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ولذا فالتهيّؤ لتحدِّي الصِّعاب يُمكّن من أداء العمل ارتقاء؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل تحدّيًا تُرسم أيضًا لمقاومة المعيقين له؛ ولذلك فالذين يتهيّؤون لارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرِّفين بإرادة

هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيديهم على الزّناد مرتعشة، وهنا تكمن العلّة.

ومن تهيّأ واستعد لتحدي الصِّعاب وأقدم عليها فليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيّرِه عن الاستمرار فيها، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا فكلّما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضيَّة الخارجيَّة مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عمليَّة التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، فإنَّه إن لم يعقب التهيؤ استعداد فلا إمكانيَّة؛ حيث لا إرادة؛ ولذلك فإنَّ غياب الإرادة يغيّب كلّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ تقوى درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما، وحينها لا إمكانيَّة لتحدِّي الصِّعاب؛ أي: لا تحدٍّ بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، حتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

ولهذا فلا إمكانيَّة للتطوّر وتحدِّي الصِّعاب ما لم يتم الالتفات إلى تلك القيم المؤدِّية إليهما نهضة، ولأجل معرفة الكيفيَّة علينا بمعرفة المجالات القيمية للخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة وهي: المجال الاجتماعي، والسِّياسي، والاقتصادي، والنَّفسي، والذَّوقي، والثَّقافي.

مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة النَّاهضة:

يحتوي مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة على القيم الآتية:

ـ علاقة المجتمع الإنساني .

ـ علاقة الأمَّة .

ـ علاقة الوطن .

ـ علاقة المجتمع المحلي .

ـ علاقة الأسرة .

ـ علاقة الزَّوجيَّة .

ـ علاقة الأخلاق .

ـ علاقة الكرم .

ـ علاقة البخل .

ـ علاقة الصداقة .

ـ العلاقة بالجنس الآخر .

ـ علاقة السُّلوك الاجتماعي.

إذن: يتكوَّن مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة من أثنى عشرة قيمة وستّون بديلّا قيميًّا، ويحتوي هذا المجال على العلائق القيميَّة المكوّنة للشخصيَّة الاجتماعيَّة التي إليها حقوق ينبغي أن تؤخذ وواجبات ينبغي أن تؤدّى ومسؤوليَّات يجب أن يتم تحمُّلها.

مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة مجال اتصالي، ومكوّن علائقي يجعل الفرد في حالة انتماء للمجتمع ويجعل المجتمع في حالة استيعاب للفرد والجماعة، فالقيم التي هي نتاج اجتماعي عام، تستوعب كل الأفراد الذين يتواصلون بها من جيل إلى جيل، وتجعل بينهم روابط معرفيّة تنتج سلوكًا يتجسَّد بينهم.

وتتنوّع علائق هذا المجال وتتغيّر أساليبه من مجتمع لأخر ومن مكان لمكان ومن زمان لزمان، فالقيم التي كانت سائدة في المجتمع العربي قبل الرِّسالة، لم تعد هي ذات القيم التي سادت بعدها، وبعض القيم السَّائدة في المجتمعات الغربيّة تختلف عن بعض القيم السَّائدة في المجتمعات الشَّرقيّة، وذلك لاختلاف الإطار المرجعي لكل منها، وعليه ليس كل المرفوض مرفوض، ولا كل ما هو مُفضّل لدي مجتمع مُفضّل عند المجتمع الآخر، فالعادات والمعتقدات والأفكار في بعض الأحيان تكون في حالة اتصال، وفي بعض الأحيان تكون في حالة حوار أو في حالة اختلاف، وفي حالات

أخرى قد تكون في حالة تكامل؛ لذلك يلاحظ التمركز على بعض القيم ويلاحظ التشتت على بعض منها، وفي معظم الأحيان يلاحظ السُّلوك الودّي بين أفراد المجتمع وجماعاته الذين يشتركون في علائق قيميَّة، ويلاحظ في بعض الأحيان السُّلوك العدائي بين الذين ينتمون والذين لا ينتمون، وهكذا تختلف المواقف والأدوار نتيجة لاختلاف الظروف واختلاف القيم والمعتقدات.

إنَّ مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة مجال بنائي يكوّن الشَّخصيَّة الاجتماعيَّة المتفاعلة والمتعاونة كلما تشربت هذه الشخصيَّة القيم بإرادة ومعرفة واعية، وإذا لم يتم ذلك بإرادة فإنَّ السُّلوك المناقض للبناء قد يكون هو سلوك الصدارة؛ ولذا فإنَّ التفاعل الموجب الذي تنتجه الإثني عشرة قيمة هو الذي يقوّي عاطفة الانتماء والرّوابط القيميَّة الاجتماعيَّة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، ويجعل الضَّمير (**نحن**) هو الضَّمير السَّائد بينهم بدلًا من الضَّمير (**أنا**) الذي في كثير من الأحيان يؤدّي إلى الصِّدام والفرقة.

يعتبر مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة هو رأس مال المجتمع، الذي تسود فيه قيم التعاون والتفاعل والمنافسة والمشاركة، عندما يولي المجتمع اهتمامًا بالتنمية البشريَّة لأفراده وجماعاته، سواء على مستوي الأسرة أو جماعات العمل أو على مستوي الإدارات الحكوميّة والإدارات الخاصَّة.

إنَّ تنمية رأس المال الاجتماعي يستوجب عقدًا اجتماعيًّا جديدًا مؤسّسًا على الثِّقة والإرادة بين الأفراد وجماعات العمل وجماعات المناشط المشتركة؛ ذلك لأنَّ الثِّقة غير المكتوبة هي التي يتطابق فيها مضمون الضَّمير مع الفعل والسُّلوك، وعندما يتطابق ما يحتوي عليه الضَّمير مع الفعل والسُّلوك فلا داعي لكتابة المواثيق التي تزوّر وتخترق كلّما تهيئة الظّروف المصاحبة إليها. وعندما تتوافر الثِّقة غير المكتوبة، تصبح مصدرًا للشفافيّة والاحترام الذي يُقدّر فيه الأنا والأخر؛ فالثِّقة بين الموظفين سواء أكانوا موظفي قطاع خاص أم عام، وسواء أكانوا موظفي أجهزة أمنيّة أو تجاريّة، عندما تسود الثِّقة بينهم في أساليب العمل، تؤدِّي إلى تطوّر العمل، وتطوّر الوحدات العاملة من خلال تبادل المعلومات المفيدة.

وعندما تنعدم الثِّقة بين العاملين في مختلف القطاعات والأجهزة تقل المعلومات المتبادلة بينهم، وفي كثير من الأحيان قد يسودها التزوير والتحريف، ولأنَّ المعلومات هي التي تُبنى الخطط عليها، ولأنَّها مزوَّرة، إذن لا بدَّ وأن تكون الخطط كمترتّب هي الأخرى مزوّرة، وعندما تكون الخطة مزوّرة يصبح العمل بكاملة مزوّرًا ولا علاقة له بالواقع والحقيقة؛ وعليه ليس دائمًا العملة الجيدة تطرد العملة السّيئة، فكل شيء عندما تتوافر اشتراطاته يتوفّر.

ويحتوي مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة على العلائق الآتية:

. علائق قيميَّة طبيعيَّة.

كالعلاقة الأسريَّة والعلاقة العائليّة والعلاقة القبليّة وعلاقة الأمَّة التي تكوّن الذَّات العامَّة المشتركة للأفراد والجماعات، وتغرس في نفوسهم عاطفة الحبّ وروح الانتماء بإرادة.

. علائق قيميَّة ضروريَّة:

كالعلائق بين رفاق العمل، ورفاق الحِرف والمهن، ورفاق التعليم والتعلُّم، وهذه العلائق قد تكون بين بني الأمّة، أو مع الآخرين، فعندما تكون بين أبناء الأمَّة أو الوطن تحتويها عاطفة الأصل والانتماء، وعندما تكون مع الآخر تحتويها علاقة المهنة المؤقّتة.

. علائق قيميَّة اختياريّة:

كالعلاقة مع رفاق المناشط الرِّياضيَّة والفنيّة والمسرحيّة والموسيقيّة والثَّقافيَّة، أو رفاق الحفلّات والرّحلات السياحيّة؛ فعندما تكون هذه العلائق الاختياريّة بين أفراد الأمَّة وجماعاتها فإن عاطفة الأصل والانتماء هي التي تسودها، وعندما تكون مع الآخر تحتويها علاقة المناشط المتنوِّعة وعاطفتها المؤقتة.

إنَّ تنوّع علائق الرّأسمال الاجتماعي تتطلّب عقدًا قيميًّا جديدًا يستوعب الأنا والآخر، ويحافظ على خصوصيّاتهم المتميزة، كما أنَّه يحافظ على علائقهم مع بيئاتهم، وهذه تتطلّب معرفة منطق الحوار بين المنتميين للثّقافات المتنوِّعة، وعدم القصور على معرفة لغة الحوار كما هو الحال أيَّام

وأعوام الحرب الباردة؛ حيث الجميع عرف لغة الجميع ولم يتمكّن الجميع من التفاهم، فكانت العقود والعهود والمواثيق وكأنْ لم تكن.

ولذا فالعقود التي تُمكّن المتحاورين من التفاهم هي العقود التي تؤسّس على المنطق الحواري، الذي يُمكّن المتحاورين من معرفة الكيفيَّة التي يفكِّر بها الآخر، فالاختلاف أو الخلاف على سبيل المثال الذي يظهر بين الحين والحين بين العرب والأوروبيين، أو بين الصّينيين والأمريكان، أو بين الهنود والباكستانيين، يعود في أساسه إلى عدم إلمامهم بالكيفيَّة التي يفكّر بها الآخر، والمنطق الذي يستوعبه ويحلل به عقليَّة الآخر، الذي ينظر من خلاله بأنَّ الآخر يشكّل خطرًا على وجوده أو على مصالحه أو على ثقافته ومعتقداته.

ومع أنّهم يعرفون ويجيدون لغة الحوار، فإنَّهم يراهنون على الوقت، لعله يأتي بمتغيرات جديدة تؤدِّي بأحد الأطراف من أن ينسحب من الميدان، أو لأجل أن يتحصّل الطّرف الضّعيف كما يعتقد على عوامل القوَّة في المستقبل لكي يتمكن من المغالبة أو إثبات الوجود.

وبناء على ما سبق فإنَّ مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة يضع الشخصيَّة في خمسة مستويات قيميَّة هي:

1 . المستوى القيمي للموضوعيَّة:

حيث تؤسّس الأحكام وتبنى، مما يجعل الشخصيَّة في حالة اتزان عقلي ومعرفي، فلا تسيطر عليها العاطفة، ولا الانحياز غير الموضوعي، علاقاتها بالمجتمع الإنساني علاقات تكافؤ، والانسانيَّة بالنِّسبة إليها في حالة مساواة، لا فرق بين أبيض وأسود ولا ذكر وأنثى، وعلى مستوى الأمَّة تفكيرها الاجتماعي تضامني؛ فهي ترى قوَّة الأمَّة في وحدتها وتآزرها؛ ولذا فهي ترتبط بالوطن وتخلص له وتحافظ على سيادته، وعلاقتها جيدة جدًا مع مجتمعها المحلي، تعمل من أجله وتقدّر ظروفه وظروف الآخرين، تحب الأسرة وتعتز بقيمها وتحرص على ترابطها مع المجتمع المحلي والمجتمع الإنساني، علاقتها الزَّوجيَّة قويَّة قائمة على الحب الوجداني، إنَّها الشخصيَّة التي ترى في الحب سمو وتوحّد ورفعة في الذَّوق، وإنَّه المؤدِّي لديمومة العلاقات الزَّوجيَّة، وتصرّ على القيم الأخلاقيَّة فتتمسّك بالحقّ وتقوم بأعمال الخير، علاقتها بالكرم علاقة عطاء (مد يد العون دون انتظار مقابل مادّي)، وعندما تكون في حالة شُح وحاجة تصبح علاقتها مع البخل ضمانيّة (فلا تلتجي إليه إلا خوفًا من العوز والفاقة)، إنَّها الشخصيَّة الودودة الصّدوقة المندمجة في محيطها الاجتماعي والكاسبة لصداقته وصداقة الآخرين الذين في مستواها الفكري والعقلي والعاطفي، ولهذا لا تميز في علاقاتها مع الجنس الآخر بما يفض إليها في الحقوق والواجبات والمسؤوليَّات، بل أنَّها تثق بأنَّ الجنسين لهما من المشاعر والأحاسيس

والوجدانيَّات ما يجعلهم في حالة محبَّة ومساواة، ولا تفرّق في سلوكها الاجتماعي بينها وبين الآخرين، إنّها الشخصيَّة المتواضعة التي لا تنتقص من قيم الآخرين ولا تميز بينهم إلا بالأعمال الحسنة.

2. **المستوى القيمي للتطلُّعيَّة** (ذاتيَّة تميل إلى الموضوعيَّة):

الشخصيَّة التطلُّعية مركز تحكيمها المنطق، الذي به تنال الاحترام في مقابل احترام الآخر، شخصيَّة غير منغلقة على ذاتها، تعتز بقيمها وفضائل أمَّتها، وتتطلَّع للآخر لتأخذ منه ما يفيد وينفع الجميع، لا تُقلد الآخر لأجل التقليد، بل تحاول جادّة أن تكتسب منه الخبرة التي تُسهم في إحداث النُّقلة إليها ولِمن ترتبط معه بعلاقات اجتماعيَّة. في منطقها الحُجَّة التي تعمل على ترسيخها على قاعدة المواطنة حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليَّات يتم حمْلها، ومن أجل الوطن ينبغي أن نتطلّع لكل ما يفيد من أجل مستقبل أفضل.

ولا يُقصدُ بالمنطق مستوى مخارج الكلم، بل يُقصد به تقديرات العقل وحسن تصرفه في المواقف والأمور المتعلقة بالأنا والآخر، إنَّه العقل المسالم لمن يسالم، والشخصيَّة التي تسلك وفقًا لهذا المنطق هي الشخصيَّة المحبَّة للتعايش السّلمي وذات العلائق الوديّة مع المجتمع الإنساني، علاقتها مع الأمَّة علاقة حوارية أخذ وعطاء، وتُفضّل العمل في حدود المنظمات الدّوليَّة، وسُلوكيَّاتها لا تتعارض مع ما يوده القانون الدّولي، تحافظ على سيادة الوطن وتقاتل أعداءه، فترتبط بهويّتها المحليّة وتعتز بانتماءاتها

الاجتماعيَّة، وتهتم بالأسرة وتقدِّر أدوار أفرادها تقديرًا عاليًا، منسجمة ومتفهِّمة لخصوصيَّاتهم، العلاقة الزَّوجيَّة مبنية على التفاعل والتواد والرّضا، أخلاقها انتقائيّة تقديريّة (بما يتلاءم مع الموقف)، علاقتها بالكرم علاقة إحسان لأجل المساعدة والتقرّب إلى الله تعالى، أمَّا البخل لا تلجي إليه إلَّا من جانب الحرص على ذاتها (شدّة الحرص قد تجعل الإنسان بخيلًا)، وتعتبر الصداقة مصدرًا لتحقيق الرَّخاء وطرد أحاسيس الملل ودفعًا للسأم، العلاقة بالجنس الآخر تنافسيّة كل حسب قدراته واستعداداته وإمكاناته وظرفه؛ ولذا لا تبني سلوكها الاجتماعي إلا على القناعة والرِّضا.

3 . المستوى القيمي للذاتيَّة:

إنَّه مستوى إظهار الخصوصيَّة الاجتماعيَّة والتمسك بها وعدم القبول بمن يحاول التفوق عليها، وعندما تكون الشخصيَّة على المستوى الذَّاتي تبرز الندية في علائقها مع المجتمع الإنساني، وتود أن تُعامل بالمثل، تناضل من أجل أمتها وانتماءاتها الاجتماعيَّة، وتقبل بالتضحية في سبيل تحريرها وتحرير الوطن، وهذه الأفعال تتطلّبُ أن تكون العلائق مع الوطن فدائيّة، ولهذا تعتز الشخصيَّة بعلائق المجتمع المحلي وتشعر بالفخر والكبرياء، وعلى مستوى الأسرة علائقها طبيعيَّة (علائق أمومة وأبوة وأخوة)، وهذا الأمر هو الذي يجعل علائقها الزَّوجيَّة نزوعيّة (نزوع اجتماعي) وأخلاقها تجنبيّه (فعل الخير وتجنب الشر)، وتعتبر الكرم صفة جود فلا تتأخر عن فعله، والبخل بالنِّسبة إليها هو تقتير، ومع ذلك تحب التضحية والإيثار في سبيل

الأصدقاء عندما يتعرضون لِما يتطلب هذا السُّلوك، وعلاقتها مع الجنس الآخر علاقة عطف (الابتعاد عن التعسف والاعتراف بالحقوق)، سلوكها الاجتماعي فيه من التكبُّرَ والغرور والزهو بالنَّفس.

4 . **المستوى القيمي للإنسحابيَّة** (ذاتيَّة تميل إلى الأنانيَّة):

هو المستوى التراجعي؛ حيث تتراجع الشخصيَّة من مستوى قيم الذَّات إلى مستوى قيم ذاتيَّة تميل إلى الأنانيَّة، وبعد أن كانت السيطرة للذَّات أصبح الانفلات عنها هو السُّلوك الإنسحابي، الذي تترتّب عليه علائق تعسفيّة ظالمة مع المجتمع الإنساني، فينتشر الفساد والاستغلال ويحل الشَّكّ محل الثِّقة. إنَّها الشخصيَّة غير المبالية بما يجرى على مستوى الأمَّة التي تنتمي إليها، فالحياة الاجتماعيَّة بالنِّسبة إليها هي حياة الفطرة التي شبّت عليها أو وجدت نفسها فيها كأمر واقع، مع أنَّها تَحُن إلى الوطن كلما فارقته وتعتزّ بعاطفتها تجاهه مع أنَّها قد لا تَقدِم على فعل موجب من أجله، إنَّه مجرد الشّعور بالانتماء الذي يميزها عن غيرها كما يميز غيرها عنها، ترضى بالأمر الواقع على مستوى المجتمع المحلي، فتضطر إلى التلاؤم معه، وعلى مستوى الأسرة علائقها نفوريّة إلى درجة عدم الرّغبة أحيان في الانتماء إليها، وعلاقاتها الزَّوجيَّة في حالة من الشَّكّ، وانعدام الثِّقة، وتحاول أن تتلاءم أخلاقيًّا مع ما يسُنَّه العرف ولكنَّها قد لا توفّق، الكرم بالنِّسبة إليها لا يزيد عن كونه للفت أنظار الآخرين وإثارة انتباههم بالمظاهر والادعاءات، إنَّها الشخصيَّة الشحيحة في العطاء الإنساني؛ ولذلك

توصف بالبخل، وهذا بدوره لا يمكّنها من اختيار الأصدقاء، فعلاقات الصداقة بالنِّسبة إليها لا تزيد عن كونها عادة من خلال اللقاءات العامَّة، ولهذا فهي حذرة في علاقاتها مع الجنس الآخر، وسلوكها الاجتماعي في حالة من اللامبالاة.

5 . المستوى القيمي للأنانيَّة:

هو المستوى المتكوّن من القيم الشّخصانية، التي لا مرجعيّة إليها سوى رغباتها وأطماعها الخاصَّة، إنَّها الشخصيَّة المتعصّبة لوجهات نظرها وأفكارها والمنحازة لرغباتها؛ ولذا لا تتمكن من تكوين علائق على مستوى المجتمع الإنساني، علاقتها بالأمَّة علاقة قطريّة التمسك بالتجزئة وعدم التفريط فيها، والوطن بالنِّسبة إليها مكاناً للعيش في حالة توفر الأمن فيه والابتعاد عنه كلما تعرّض للخطر، أو أنعدم الاستقرار فيه، ولهذا تعيش هذه الشخصيَّة حالة من الجفاء مع المجتمع المحلي، وعلاقاتها الأسريَّة في حالة صدام واضطراب مع أفراد الأسرة، تحب السيطرة على الزّوج وقد لا تتمكن من تحقيقها نتيجة الصِّراع الدّائر بين أفراد الأسرة، والأخلاق غير ذات أهميَّة كبيرة في قاموسها الشّخصاني، قد تفعل الشر وتتجنب فعل الخير، إنَّها في حالة معاكسة للأخلاق، وتعتبر في الكرم تبذير ليس إلا، والبخل بالنِّسبة إليها لا عيب فيه نتيجة لاختلال معاييرها ومقاييسها القيميَّة، وانسلاخها عن الإطار المرجعي للمجتمع؛ ولذا فهي في حالة اتصال بالبخل وكأنَّه جزءًا منها، ولا تصادق إلا لأجل مصلحة، أمَّا غير

ذلك لا ترى في الصّداقة أي فائدة، وعلاقتها بالجنس الآخر علاقة دونيَّة، ومن وجهة نظرها لا ينبغي أن تتم المساواة بين الجنسين في ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وتحمّل المسؤوليَّات، إنَّها المعادية للسُّلوك الاجتماعي والمنحرفة عنه.

وبإسقاط خماسي عقيل لتحليل القيم على مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة نلاحظ أنَّ اختيارات المبحوثين قد تتوزع على القطاعات الخمس للخماسي، وقد تتمركز على قطاع واحد، وقد تتشتت.

مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة

الإنتاج هو توليد الشيء من الشيء، الذي يؤدّي إلى الكثرة والتضاعف، كما أنَّه يؤدّي إلى التنوَّع، مما يستوجب إدارة للإنتاج تنقله إلى أسواق الطلب والرّغبة، فالإدارة وسيلة النجاح عندما تكون قادرة على ملاحقة المنتجين في ميادين الإنتاج وملاحقة المستهلكين في ميادين البيع والشراء، وهذا يعني توسع دائرة امتداد هذا المجال المتطوِّر من حالة الإنتاج الأوَّلي إلى حالة الإنتاج التقني المعقد، ومن حالة العلاقة المباشرة بالطبيعة إلى حالة النُّقلة للتحسين والجودة، التي تمكّنِه من دخول ميادين المنافسة الحرَّة وتجاوز الصِّعاب.

الإدارة الإنتاجيَّة المنافسة هي الإدارة القادرة على خلق علاقات في الظّروف الصّعبة، والتي تُحسُن الكيفيَّة التي يُقدّم بها الإنتاج إلى الرَّاغبين؛ ولذلك فإنَّ الإدارة الملاحقة تختلف عن الإدارة الثَّابتة، التي تنتظر الزبائن ليأتوا إليها؛ لكي تقدِّم لهم أفضل الخدمات، هذه إدارة المساكين الذين لم يعرفوا بعد حاجة السُّوق، والمتغيرات العالميّة؛ حيث أصبح البيع والشِّراء من خلال شبكات الإنترنت وشبكات الاتصال المتنوِّعة والمتطوِّرة، والإدارة الملاحقة هي التي ينبغي أن تعتمد في تقديم خدماتها على الآتي:

1 . التنوَّع في الأساليب:

ا . أساليب تقديم الخدمة المتنوِّعة.

ب . أساليب العرض المختلفة.

ج . الأساليب الظرفيّة، الظروف الموضوعيَّة للحالات المختلفة، ظروف المسؤولين تختلف عن ظروف العاملين وعن ظروف المنتجين والمستهلكين، وظروف الدّول والحكومات تختلف عن ظروف الأفراد والجماعات، التي في حاجة للخدمات، فيجب أن تكون الإدارة قادرة على التأقلم مع الظروف المختلفة، والمواقيت والأماكن المختلفة التي في حاجة للخدمات الإدارية المنافسة.

2 **. السرعة**:

أ . سرعة الحركة في التنقل.

ب . سرعة الاستيعاب.

ج . سرعة الاستجابة الأفضل.

3 . **الخبرة المتنوِّعة**: التطوّر العلمي والتقني بشكل خاصّ، والتغيرات السريعة في حركة الإنتاج، تتطلب خبرات متنوِّعة؛ ولذا سيكون المستقبل أفضل للذين لهم أكثر خبرة، أمَّا الذين لا يمتلكوا إلا خبرة واحدة فقد يطول زمن وقوفهم في صفوف الباحثين عن العمل، وقد تكون لهم مقاعدًا مع الجالسين على الرَّصيف.

4 . **التخصّص**:

العالم اليوم مليء بالتخصصات المتنوِّعة والمتعددة، وميادين الإنتاج في حاجة لهذا التنوَّع والتعدد من التخصصات؛ ولذا لا يمكن أن تكون

الإدارة ناجحة وقادرة على المنافسة ما لم تعتمد أهميَّة التخصص وتعمل به، ولكي تستطيع الملاحقة والهادفة فعليها أن تعرف أن التخصصات في حالة تجدّد وتبدّل وتغيّر وتأهّل فلا تتأخر.

5 . القدرة على توليد المعرفة:

لم يُعد كل شيء ثابت، السياسات متغيّرة والاقتصاد متغيّر، والعلاقات الاجتماعيَّة في حالة تبدُّل، والحاجات متطوِّرة، والرغبات كثيرة والسعي إلى الأفضل مطلب عام، وفلسفة الحياة ليس من أجل اليوم، فمن يمتلك القدرة على أن يفكر في المستقبل ويعمل على صناعته يفوز، ومن لن يعمل على صناعة المستقبل سيجد نفسه في عمليَّة حسابيّة مع مجموع المستهلكين.

إنَّ مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة يحتوي على خمسة علائق قيميَّة كل منها يؤدّي إلى الإنتاج سواء كان هذا الإنتاج ماديًّا (إنتاج السُّوق) الذي تترتب عليه قيم البيع والشراء، وارتفاع مستوى الدخل أو انخفاضه، أو إنتاجًا معرفيًّا (إنتاج المعلومة والفكرة) التي تثري ما سبق، وتدعم ما في الآن، وتسعى لصناعة المستقبل؛ ولذا فإنَّ التقنية (مولود الفكرة) تتطوَّر وتتنوَّع وتتجدَد مع كل جديد.

ويحتوي مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة على بدائل قيميَّة معياريَّة لقياس معارف المبحوثين وتقديراتهم لهذه القيم أو تفهمهم إليها، ويترتَّب

على ذلك التعرُّف على اتجاهاتهم ومستوياتهم القياسيّة من خلال اختياراتهم للبدائل القيميَّة لكل علاقة من علائق مجال القيم الإنتاجيَّة.

إنَّ مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة هو مجال امتداد الفكرة، ونقلها وفقًا للمطالب والحاجات والرغبات ووفقًا لسياسة السُّوق، ولهذا فالفكرة لا تعترف بالحدود، إن لم تُحترم في مكان معين قد تلاقي كل الاحترام والتقدير في مكان آخر، المهم أنَّها فكرة منتجة للمعرفة الجديدة والمفيدة، وهي في حالة تطوّر مستمر وقادرة على المنافسة، فالسُّوق الذي كان مقتصرًا على البيع والشِّراء لما هو منتج ماديًّا، أصبح المستوعب للتعامل مع الفكرة والمفكرين، فدخلت الفكرة السُّوق كغيرها من المنتجات الأخرى، ودخل المفكرين معها للسُّوق، وكان اللبس والغموض عند البعض حين قالوا أن المفكرين يباعون ويشترون كغيرهم من السلع والبضائع الأخرى، إنَّها لم تكن حقيقة، الحقيقة هي بيع الفكرة وشراء الفكرة، ولأنَّها فكرة فلا مكان إليها إلا عقل المفكر؛ ولذا يُنقل المفكرين من مكان إلى مكان للمحافظة على الفكرة وحافظها، كل السلع والمنتجات المتنوِّعة تنقل في العُلب المختلفة، وتحفظ في حافظات مادّيَّة إلا الفكرة لا تُحمل في مثل ما تُحمل به المنتجات الأخرى.

وهكذا دخلت المهارة السُّوق كما دخلته الفكرة، ومع أنَّ الفارق كبير بين الفكرة والمهارة إلا أنّهما دخلا نفس السُّوق، وخضعا إلى أساليب المزاد العلني، من يدفع أكثر يربح المزاد، مزاد بيع السُّلوك (المهارة)، وبيع

المعلومة (الفكرة)، اللاعبين الرّياضيين أسعار مهاراتهم بالملايين، وأسعار الفكرة أكثر، والفرق بين أساليب التعامل مع السُّلوك والفكرة هو أن المهارة تؤجّر ويُدفع الثمن للذي يُجيدها، وعندما تنتهي مدة الإيجار ينتقل بها صاحبها أينما يشاء، أمَّا الفكرة فتُشترى، وعندما يرحل صاحبها تستقل عنه بما تنتج في السُّوق.

ويعتبر هذا المجال ألعلائقي مجالًا لتحقيق المنفعة القابلة للقياس بالإنتاج الذي يتطلب إدارة ملاحِقة (تلاحق المنتجين لتمدهم بالخدمة التي تمكنهم من زيادة الإنتاج)، إدارة تتفهم ظروفهم ومتطلباتهم كما تتفهم احتياجات المستهلكين.

أن مبدأ المنفعة جعل الإنسان في حالة منافسة مع الآلة بدلا من منافسته للآخر من بني جنسه؛ ولذا أصبحت الآلة تحلّ محل الإنسان غير القادر على المنافسة في العمليَّة الإنتاجيَّة، فإذا كان الجهد المبذول يقل قيميًّا عن العائد منه فلا بد أن تكون الخسارة هي المبعدة عن ميادين المنافسة الحرَّة.

إذن: مجال العلائق القيمة الإنتاجيَّة مجال توسعي وقيّمه سريعة التطوُّر، والامتداد فيه يعتمد على قوَّة الإنتاج وجودته، وكفّة النجاح تساوي كفّة السقوط، في عصر العولمة سيكون مكان المنتجين مرموقًا إذا كان إنتاجهم قادرا على المنافسة الحرَّة، وسيكون في الهاوية إذا لم يتمكّن من المنافسة.

والعالم اليوم قرية صغيرة، يمكن عبوره والترحال فيه بكل يُسر، فمن ينتج ولا يعلن عن إنتاجه، فلن يلتفت إليه أحد، اليوم عصر الإنتاج المباشر والإعلانات المباشرة، وعليه فالإعلانات التي تداع اليوم في كل المحطات المرئيَّة لن يكون لها مستقبل، فالمستقبل سيكون للإعلانات المباشرة (الإعلان عن طريق النقل المباشر) نتيجة السّرعة والتنوَّع والفائض الإنتاجي، ومن هنا رسمت الصّين استراتيجيَّاتها ورسمت على الخريطة العالميّة طريق الحرير العابر للقارات وهو القادم على اجتياح الأسواق تجارة وثقافة.

ومع ذلك فإنَّ مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة في عصر العولمة هو مجال اندماجي، فتلك الشركات غير القادرة على المنافسة إن لم تندمج في شركات كبرى أو تتحد مع مجموعة كبيرة من الشّركات الصّغرى لتشكل شركة قادرة، إن لم تفعل ذلك لا بد وأن تسقط من ميادين المنافسة الحرَّة، ولن تجد لها مكانا في مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة، وحتى الشركات الكبرى إذا أرادت أن تكون في الصدارة العالمية لا خيار إليها إلا الاندماج.

ومن هنا فتوازن الذَّات في مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة يؤدّي إلى إظهار سمة الاستمرار الاجتماعي، حيث توازن الفكرة يستوجب توازن الفعل والسُّلوك، وإذا أنعدم التَّوزان أنعدم اعتدال الحركة، وظهرت الميولات؛ ولذا بمنطق القيم الاجتماعيَّة ينبغي المحافظة على الذَّاتيَّة (الشخصيَّة المعتدلة) عند الدخول إلى السُّوق وعند الخروج منه، وهذا لا يعني أنْ لا تكون متطلّعة لِما يؤدّي إلى صناعة المستقبل، بل التَّوزان من أجل

الاستمرار، وقد تجد الشخصيَّة نفسها بين خمس اختيارات وهي في حاجة للتَّوازن:

1 . التَّوزان بين الحاجات وأساليب إشباعها.

2 . التَّوزان بين رغبات الأنا ورغبات الذَّات.

3 . التَّوزان بين ما يجب وما لا يجب.

4 . التَّوزان بين الثَّقافة والسُّلوك.

5 . التَّوزان بين الحقوق والواجبات والمسؤوليَّات.

إنَّ تحقيق كل هذه التَّوازنات قد يكون أمرًا صعبًا، في مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة، فإذا أردنا دخول المنافسة الحرَّة، التي في بعض الأحيان لا تستوجب التَّوزان ولا الاعتماد على الأخلاق؛ علينا أن نعرف إنَّ من أهم أسباب السقوط في ميادين المنافسة الحرَّة أن تعتمد الشخصيَّة على وجوبيَّة منطق التَّوزان والأخلاق؛ حيث أنَّ منطق المنافسة في عصر العولمة، هو (كن قادرًا)، أو لا تحتجَّ على أحدٍ إذا مُرّغَ أنفُكَ في التُراب، وليكن في علمك لن يقف إلى جانبك أحد، وعليك بمراجعة القوانين الدوليَّة التي تحمي القادرين على المنافسة.

وعليه تحليل مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة يمكّن البحاثة من التعرُّف على حالات المبحوثين من حيث الجهد، والإنتاج، والإشباع والمنفعة، وفقًا للآتي:

1 . جهد يؤدّي إلى الإنتاج يؤدّي للإشباع ويحقِّق منفعة.

2 . جهد يؤدّي إلى الإنتاج ولا يؤدّي للإشباع لا يحقِّق منفعة.

3 . جهد يؤدّي إلى الإنتاج، يؤدّي إلى الزائد عن الإشباع، يحقِّق الفائض عن المنفعة.

4 . جهد لا يؤدّي إلى الإنتاج لا يؤدّي للإشباع ولا يحقِّق منفعة.

5 . لا جهد يؤدّي إلى الإنتاج لا إشباع ولا منفعة.

وبناء على النقاط السَّابقة تُقيّم اختيارات المبحوثين للبدائل القيميَّة؛ حيث هناك من يرى في العمليَّة الإنتاجيَّة التباهي والادعاء والفرجة، وهناك من يراها استهلاك أو تسابق وانبهار، أو تخطيط وتصميم وسرعة وتنوّع، وآخر قد يراها فقر وبطالة مما يجعله عالة على الآخرين.

إنَّ تحليل المجال ألعلائقي للقيم الإنتاجيَّة يتطلّب معامل الخماسي التي تُمكّن البحاث من التعرُّف على ما يؤثّر على العمليَّة الإنتاجيَّة وما يثريها ماديًّا ومعرفيًّا، وما يؤثِّر على الأفراد والجماعات المنتجة والمستهلكة في وقت واحد، فهناك من ينظر للعمليَّة الإنتاجيَّة بالمنظور الشّخصاني، وهناك من يراها بنظرة العاطفة الذَّاتيَّة والبعض يتأرجح في اختياراته بين الانسحاب أو أن يكون المنطق أسلوبًا في سلوكه، في حين تكون الفرصة سانحة للموضوعيَّة التي يسودها العقل؛ ونظرًا لأنَّ العمليَّة الإنتاجيَّة واحدة،

تداخلت هذه القيم الخمسة لإظهار هذا المجال ألعلائقي وإبراز أهميّته على مستوى الأفراد والجماعات والمجتمعات البحثيّة.

يحتوي مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة على العلائق الآتية:

1 . العلاقة الاقتصاديَّة.

2 . العلاقة الإبداعيَّة.

3 . العلاقة العمليَّة.

4 . العلاقة التقنيّة.

5 . العلاقة الإنجازيَّة.

وبناء على ما تقدَّم فإنَّ قيم مجال العلائق الإنتاجيَّة تؤسّس خمسة مستويات للشخصيَّة هي:

1 . المستوى القيمي الموضوعي:

هو مستوى الشخصيَّة التي تتمكن بالقدرات العقليَّة المتزنة من أن تفكر وتخطط، فتعمل وتنتج، ثم تتمكّن من المراجعة العلميَّة التي تعرِّفها على أساليب القياس وأهميَّته في إجراء المقارنات التي تنقلها من حالة إلى حالة أفضل، ولذلك لم يعد التخطيط غاية في ذاته، بل الغاية هي صناعة المستقبل بخطوات ونتائج قياسيّة، تعتمد على إيجاد معايير لقياس الأداء المؤدِّي إلى زيادة الإنتاج ورفع المستوى التنموي في البلاد، وهذه الأساليب

بدورها تشجع على الإبداع وتنمي قدرات الإنسان الإبتكارية التي تأتي بالجديد، مما يجعل العلاقة بالعمل علاقة إنتاج وعطاء مستمر، ويجعلها في حالة سباق مع التقنية، التي تلحقها بصناعة المستقبل؛ ولذا فهي تمتلك المقدرة على الإنجاز وتمتلك الإرادة والتصميم اللذين يمكِّنانها منه.

2 ـ المستوى القيمي التطلُّعي (ذاتيَّة تميل إلى الموضوعيَّة):

هو الذي تصل إليه الشخصيَّة بعد تحليل يُبنى على معطيات لا على افتراضات، والتحليل المنطقي وفقًا للمعطيات قد تكون نتائجه صحيحة وقد تكون خاطئة، فإذا كانت المعطيات صادقة فإنَّ التحليل المنطقي بالضرورة سيكون صادقًا، وإذا كانت خاطئة فليس له غير النتائج الخاطئة، وهذا الذي يجعل الشخصيَّة في حالة ميل من المستوى الذَّاتي إلى المستوى الموضوعي، ويجعل علاقاتها الاقتصاديَّة علاقات مجتمعيَّة لأجل خدمة الجميع دون تمييز أو تحيز، ولأنَّها تعتمد على التحليل المنطقي فإنَّ الاكتشاف العلمي سيكون من مميزاتها الموضوعيَّة والإبداعيَّة، ولهذا فهي في حالة رغبة للعمل المنتج لأجل إبراز قدراتها المتميزة عن غيرها من العاملين أو المنتجين، ولأنَّها شخصيَّة متطلّعة للمستقبل فإنَّها تميل إلى التعرُّف المباشر على التقنية؛ ولذلك لا تتأخر عن الاتصال لأجل استعارة التقنية التي ترى فيها معطيات التقدّم ومبررات العصرنة، إنَّها الشخصيَّة المنسجمة القادرة على التوفيق بين ظروف المجتمع ومتغيرات الحداثة.

3 ـ المستوى القيمي الذَّاتي:

إنَّه مستوى إظهار القيم الاقتصاديَّة وفقًا لمتطلبات مجتمع الانتماء (الذي تنتمي إليه الشخصيَّة)، فإذا كان المجتمع متقدّمًا اقتصاديًّا فإنَّ هذه الشخصيَّة ستكون مع حركة العجلة العامَّة متقدّمة، وإذا كان المجتمع متأخرًا فليس لها إلا أن تكون متمشّية مع سرعته وحركته الاقتصاديَّة، إنَّها عفويّة الفكرة واعتباطيَّة السُّلوك، وهي في حاجة للتأهيل لكي تكتسب الخبرة، وهي تحب العمل لأجل إظهار القدرات التي تمكّنها من التقدير والاعتراف الاجتماعي، ولهذا تنتظم في العمل وتحافظ عليه، أمَّا علاقتها بالتقنية فلا تختلف عن المستوى القيمي الذي عليه حالة المجتمع الذي تنتمي إليه.

4 ـ المستوى القيمي الإنسحابي (ذاتيَّة تميل إلى الأنانيَّة):

هو مستوى التخلي عن أداء الواجبات وتحمّل المسؤوليَّات، وعندما لا يشارك الفرد مجتمعه في هذه المهمة فلن يكون شخصًا منتجًا؛ وذلك لعدم مشاركته في العمليَّة الاقتصاديَّة التي تنمو بالجهود العامَّة للمجتمع على المستوى المحلي والعالمي، وعندما لا تشارك الشخصيَّة في أداء الواجبات وتحمّل المسؤوليَّات تضع نفسها في خانة المستهلكين الذين يكونون عبئًا على حساب جهد المنتجين، وهذا الذي يجعلهم عالة على المجتمع، فهم الحذاق الذين يترصدون الدَّوائر النفعيَّة، وهكذا علاقاتهم مع الإبداع لا تزيد عن كونها علاقة حذاقة لأجل ما يفيد، إنَّها الشخصيَّة

المتعثرة في علاقاتها العمليَّة، فهي المختلقة للمبررات كلما تكرر غيابها عن أداء العمل المناط بها، مما يجعلها مستخدمة لأساليب وعبارات التسويف (سأعمل سأفعل وهكذا في حالة عادة)، تنبهر بالتقنية وكأنَّها معجزات، تهتم بالمنجزات الكميَّة على حساب النوعيَّة، وهي لا تميز بين الجيد والأجود.

5 . المستوى القيمي الأناني:

هو مستوى إظهار المعايير الفرديَّة على حساب المعايير الاجتماعيَّة والانسانيَّة، فالعمليَّة الإنتاجيَّة ليس مجال تفكير ولا اعتبار، والاقتصاد مجرد كلمة أو مصطلح فهو لا يزيد عن كونه أكل وشرب، تبحث عما تأكل وما تشرب ولا تفكر إلا في نفسها وما يفيدها، في قاموسها الدّولة هي المسؤولة عن هذه المهام وكأنَّ الدّولة مكوّن مستقل عن أفرادها وجماعاتها، فتضع الأعباء عليها ولا تقبل بالمشاركة فيما يفيد العموم، علاقاتها الإبداعيَّة علاقات تقليد ومحاكاة، والعمل لا يعد واجبًا وطنيًّا، مع أنَّه ضرورة، وهي تحب الوظيفة لهذه الضرورة ولا تعمل بما يفيد، في تربيتها الفكريَّة والسُّلوكيَّة الكسل والبطالة المقنّعة ليست عيبًا فهناك من هو قادر وهناك من هو غير قادر، والعمل حق عام، والإنتاج ليس كذلك، لا تثق في التقنية كثيرًا، بل تعتبر التقنية مجرد إدعاء (ليس بالضرورة أن تكون تقنيّا ولكن من حقك أن تدَّعي ذلك)، إنَّها الشخصيَّة المهملة والخمولة.

مجال العلائق القيميَّة النَّفسيَّة

يحتوي هذا المجال على سبعة علائق قيميَّة تؤثر في علائق أخرى وتتأثر بها، تفيد في التحليل النَّفسي للأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال التعرُّف على اتجاهاتهم وميولهم والقيم التي يتمسّكوا بها، أو التي يحيدون عنها مما يجعلهم يتخذون مواقفًا وأدوارًا متباينة وتختلف من وقت لآخر.

يتكون مجال العلائق القيميَّة النَّفسيَّة من سبعة علائق هي:

1 . علاقة الشخصيَّة.

2 . علاقة إثبات الذَّات.

3 . العلاقة الضَّميريَّة.

4 . علاقة الواجب.

5 . علاقة الحقيقة.

6 . علاقة الواقع.

7 . العلاقة الجنسيَّة.

ولذا فمجال العلائق القيميَّة النَّفسيَّة مجال ضميري يجعل الشخصيَّة في حالة حركة وعلى مستويات قيمة خمس هي:

1 . المستوى القيمي الأناني:

إنَّه المستوى الذي تقيّم الأمور فيه والأفعال من خلال الأنا بغض النظر عما ينبغي أو ما يجب أن يكون، وهذا البعد هو بعد النَّفس الأمّارة بالسوء؛ مصداقًا لقوله تعالى: {قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ}[3] إذن البعد الأناني بعد غرور، والغرور نتيجة ضعف النَّفس وطمعها وتمركز تفكير الأنا على ما يحب ويشتهي؛ حيث يفكر في يومه ولا ينظر إلى غده.

يُكوِّن البعد الأناني الشخصيَّة النرجسيَّة التي تحس بأنَّها في حالة تميُّز لا مثيل له، إنَّها الأنانيَّة بعينها؛ إذ أنَّ الشخصيَّة لا تُقدّر إلا نفسها ولا تعتبر الآخرين في شيء، فهي لا تعترف بحقوق الغير، الحياة ضيقة في نظرتها، تُقيّم الأمر بنظرتها ولا تقبل بمشاركة الآخرين ولا تتفاعل معهم، تعشق صورتها حتى ولو كانت على الماء، تبتسم معها وتحاكيها وكأنَّها تتكلم ، تَقدِم على الانتحار من اجلها ولا تقدم على مساعدة سواها؛ ولذا فالنرجسيَّة هي الإفراط والمبالغة في تقدير الأنا واعتبارها، وتسعى لأن تفرض روها على الذين هم في محيطها، وهي مخادعة غير واضحة المعالم، سِيرتُها لا تخرج عن أنا من ساعة المرض إلى ساعة الشِّفاء، علاقاتها صفريَّة (لا وجود للعلائق الإنسانيَّة في طبيعتها)، في حياتها غير المنتجة اتكالية،

[3] الأنعام 130.

المجتمع مسؤول عن إشباع حاجاتها وهي غير مشاركة له في شيء، أهدافها تتمركز على غير الممكن، فالإنسان عندما يقرر أن يكون أنانيًّا ليس له بد من أن يكون نرجسيًّا. إنَّها الشخصيَّة المتعبة لذوي العلاقة.

2 . المستوى القيمي الإنسحابي:

حيث تسلك الشخصيَّة سلوكًا تراجعيًّا عمّا هو متوقَّع، ففي الوقت الذي يتوقَّع لها أن تسلك أو تتقدَّم تنسحب ولا تفعل، تميل إلى التخلي عن المواقف التي ينبغي أنْ لا تميل عنها من وجهة النظر المنطقيَّة والموضوعيَّة، لا تتحمّل المسؤوليَّة ولا تؤدِّي واجباتها كاملة، في حالة شك من أمرها وأمر الآخرين، تميل إلى إشباع الرّغبات بالمطالبة لا بالمشاركة؛ مصداقًا لقوله تعالى: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ}[4]، هذه النَّفس هي التي توصف بالإنسحابيَّة.

ومن ثمَّ فحالة الانفعال التي تصيب النَّفس تجعلها في حالة عدم اتزان، نتيجة التشويش الذهني والتفكير المشتت على الموقف أو الموضوع الذي يؤدّي بالشخصيَّة إلى التبدل السُّلوكي ويجعلها في حالة اغتراب نفسي ووجداني، شخصيَّة هذا حالها لا يمكن أن تكون قادرة على التفاعل والمشاركة أو التنافس، ولأنَّها كذلك ليس لها إلا المواجهة غير المربحة التي يترتب عليها الانسحاب أو الانسحاب دون الدخول في جولات المواجهة غير المتوازنة؛ ولذا فالمفاجئة هي السمة السَّائدة على تفكير الشخصيَّة

---

[4] النجم 23.

الانفعاليّة، مع التقلب في الآراء والامزجة، وهي لا تظهر المقدرة على الثبات في المواقف ولا حتى اتخاذ قرارات قابلة للتنفيذ. هذه الشخصيَّة قابلة للاختراق بين الحين والحين، تعتقد أنّ الآخرين لا يُقدِّرون الظرف ولا حتى يفهمون كما هي تفهم، حالة من السذاجة النَّفسيَّة تسيطر على عقل الإنسان فتجعله في حاجة للمساندة، تصوراتها خياليّة تعتقد أنَّ الكل أعداء إلى أن يثبتوا غير ذلك، لا تقترب من الواقع، وتميل إلى اعتماد السُّلوك الإنسحابي في حياتها كلّما لزم الأمر، ولا تتقدم ولا تعاضد من يتقدم، من سمتها الحسد ولا تثق في المنافسة.

3 . المستوى القيمي الذَّاتي:

هو المستوى الذي يُظهر النَّفس المعتدلة، النَّفس المتزنة في ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وتحمّل المسؤوليَّات، لا تبالغ لغرض شخصاني أو طمع فردي، بل أنَّها تفكر بما يذيبها في الضَّمير الاجتماعي، في سلوكها الفردي لا تغفل عن الضَّمير (نحن)، نحن الأسرة، نحن المجتمع المحلي، نحن الأمّة، نحن القيّم (نحن الضَّمير العام)؛ مصداقًا لقوله تعالى: في سورة المائدة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ}[5]، الأنفس المهتدية لها ذات واحدة وضميرها (نحن) والنَّفس الضَّالة هي الخارجة عن الذَّات وضميرها (أنا).

[5] المائدة 105.

إنَّها الشخصيَّة التي تُفكر بعقل المجتمع الذي تنتمي إليه، تتقيد بالقيم السَّائدة المستمدة من المعتقدات والأعراف المكونة للإطار المرجعي، تعتبر المجتمع الذي تنتمي إليه مجتمع أفضل قيميًّا من غيره، وفي معظم الأحيان تنحاز إليه عند كل ظرف، ولهذا قد توصف الشخصيَّة من قبل الآخر بالانطوائيَّة؛ حيث قصور رؤاها على رواء المجتمع وعدم تفاعلها موضوعيًّا مع غيره من المجتمعات أو الأفراد، وتبالغ في عرض ذاتها على ذوات الآخرين، تتشبَّث بخصوصيَّاتها الاجتماعيَّة، تقاوم الاختراق حتى وإن كان ذا فوائد موجبة، تعتز بالانتماء الأسري والعشائري والقبلي والانتماء إلى الأمَّة، ثقافتها بسيطة، وهذا ما يجعل علاقاتها مع الآخرين سطحيّة (عدم اكتراث) غير مبالية بما يجري في محيطها الإنساني، تنتظر التغيير ولا تقدم عليه، ترفض الآخر الموضوعي وتقبل الأنا المنتمية إليها، تتابع الأفراد في حقوقهم وواجباتهم ومسؤوليَّاتهم، وتتحمّل الأعباء المترتبة على مشاركتهم، ولا تنظر للحقيقة كوحدة واحدة، بل تنظر إليها على أساس التجزئة؛ إذ أنَّها ترفض الحقيقة التي تستوجب الموضوعيَّة في التقييم؛ ذلك لأنَّها تتعصّب إلى عرقها، أو جنسها أو مهنتها، أو قريتها ومدينتها وبلدها، حتى وإن كان الخطأ والسَّلبيَّة هما السَّائدين فيها، وتقبل الإصلاح من الداخل، وترفضه من الخارج.

4 . المستوى القيمي التطلُّعي:

هو المكوّن للشخصيَّة المتطلّعة لِما هو أفضل على مستوى الذَّات ومستوى الآخر، والاعتدال في قول الحق منطق، والاعتراف به اعتراف بما ينبغي، وإنكاره إنكار للحقيقة، مع العلم أنَّ إنكار الحقيقة لا يُلغيها، وعليه أنَّ الشخصيَّة المتطلّعة هي التي تتمسَّك بحقوقها وتؤدِّي واجباتها وتتحمّل مسؤوليَّاتها وتعترف بأنَّ للآخرين ما يماثل ما لها.

إنَّ هذا المستوى هو مستوى ذاتيَّة تميل إلى الموضوعيَّة، وفيه تعيش الشخصيَّة حالة التقمص؛ حيث تستعير شخصيَّة الآخر وتسعى للذوبان فيها، باعتبارها القدوة التي تعتقد إنَّها الأفضل، وهذا يدل على أن الشخصيَّة في حالة تطلّع لِما ينبغي أن يكون، وبالمنطق ينبغي على الإنسان أن يفكر ويسعى لأن يكون على مستوى نفسي أفضل، وعندما يسعى لِما هو أفضل بالضّرورة سيجد نفسه في ظروف تمكّنه من الاختيار بإرادة، وهذه الظّروف تمكّنه أيضًا من الاقتران بذاته ولا ينفصل عنها سواء في حالة التمركز التام أم في حالة التطلع لِما ينبغي، هذه هي الشخصيَّة المتطلّعة، التي تحتكم إلى المنطق عند كل تصرف، وتنتقي تصرفاتها وأفعالها حسب كل ظرف وكل حالة، لا تعمم سلوكيَّاتها في المواقف المختلفة، ومن صفاتها الإخلاص في أداء الواجبات والمهام المناطة بها، إنَّها الشخصيَّة التي توصف بذاتيَّة تميل إلى الموضوعيَّة؛ وذلك لإقبالها على ما يظهر الحقيقة، وحصرها للأهداف الممكنة التحقيق، وسعيها للإنجاز كمتوقَّع منطقي.

5 ـ المستوى القيمي الموضوعي:

يتحقّق هذا المستوى القيمي بالآتي:

أ ـ فاعل: الفاعل قد يكون فردًا وقد يكون أكثر.

ب ـ فعل يتضمن حسن التصرف في المواقف وأداء المهام الواجبة بنظرة إنسانيَّة وليس بنظرة الانحياز، فإقدام الفاعل على أداء الأفعال بما يتماثل مع الموضوع بغض النظر عن الظروف يُعد إقدامًا موضوعيًّا.

ج ـ موضوع: ولكي يوصف الفاعل بالموضوعيَّة لا بد أن يلتزم بأهداف وغايات الموضوع، فعندما يكون الموضوع وجوبيَّة الحقوق فمن الموضوعيَّة أن يمارس الجميع حقوقهم بغض النظر عن أجناسهم ومعتقداتهم وهويّاتهم، وهكذا عند أداء الواجبات وحمْل المسؤوليَّات.

إذن: البعد الموضوعي هو الذي يعتمد على إظهار الحقيقة ولا يحيد عنها، وتوصف الشخصيَّة الموضوعيَّة بالعقليَّة: {وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[6]، فالحقيقة قد تكون تستوجب العقاب وقد تستوجب الثواب وفي كلتا الحالتين عدل ينبغي أن يُنفَّذ إذا لم يحدث الإعفاء الموضوعي.

والشخصيَّة الموضوعيَّة هي التي تستطيع التفاعل مع الآخرين بالمشاركة والتعاون أو الانسجام أو المنافسة، إنَّها الحالة التي ينكشف فيها

---

[6] الجاثية 22.

الأثر النَّفسي من خلال ممارسة السُّلوك أو أداء الدّور الذي ترغبه الشخصيَّة أو تفضله؛ ولذلك تتميز كل شخصيَّة بما تضمر وبما تفعل، فما يحقِّق التنفيس الوجداني لشخص قد لا يحقِّقه لآخر؛ ولذا فإنَّ الشخصيَّة المتفاعلة في مُعظم الأحيان تسمو في علاقاتها إلى ما يحقِّق إليها التفوق والنجاح، وهي التي تستند على الموضوع في تقييماتها وأفعالها من أجل إظهار الحقيقة، وهي لا تبالغ ولا تنسحب عن ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وتحمّل المسؤوليَّات. إنَّها في حالة تلازم مع الضَّمير لا يغيب عنها عندما تفكر وتحلل وتفسر أو عندما تُقيِّم، وفي مثل هذه الحالات توصف الشخصيَّة بالموضوعيَّة والواقعية.

ولتحليل مجال العلائق القيميَّة النَّفسيَّة ينبغي أن يهتم البحاثة والأخصائي الاجتماعي بمعرفة علم الخفايا الذي يجعل من الأفراد متفاعلين ومتفائلين أو منطويين ومتقوقعين، في حالة إقدام أو إحجام، في حالة مشاركة أو في حالة عزلة ووحدة؛ ولذا فإنَّ معرفة علم الخفايا يُمكِّن البحّاث من معرفة العلل والأسباب الكامنة ورأى الأفعال المرتكبة، ولهذا فهو علم معرفة الباطن، الذي يتطلب تحليل شخصيَّة المبحوث تحليلًا نفسيًّا غير مباشر، فالسُّلوك الظَّاهر قد لا يعبر عن حقيقة الكامن، فيلتجئ المحلل أو الباحث إلى استخدام الأساليب الإسقاطية في دراسة بعض المواضيع المتعلّقة بالشخصيَّة.

وعليه:

إنَّ النَّفس البشريَّة تقوّى وتضعف بالكلمة أو الفعل أو السُّلوك، وتتأرجح بين الخيال الممكن والخيال غير الممكن، وبين المتوقَّع وغير المتوقَّع تارة أخرى، وعندما تضعف تضطرب، وعندما تقوى تطمئن، ومعايير اختياراتها القيميَّة في بعض الأحيان تتمركز على الأفعال الأنانيَّة، وفي بعض الأحيان الأخرى تتمركز على الذَّاتيَّة أو الموضوعيَّة، وفي حين آخر تتشتت الذَّات بين الميول إلى الأنانيَّة أو الميول إلى الموضوعيَّة، وهذا يعني أن مجال العلائق القيميَّة النَّفسيَّة قد تندمج فيه مكوّنات الشخصيَّة مما يجعل عناصر الذَّاتيَّة جزاء لا يتجزأ من عناصر الأنانيَّة أو عناصر الموضوعيَّة، وهذا يتماثل مع قطاعات خماسي تحليل القيم الذي يُمكِّن البحّاث من معرفة محتويات النَّصّ أو الخطاب أو الشّخصيَّة قيد البحث والدِّراسة.

وعليه: إنَّ القيم التي يحتويها مجال العلائق النَّفسيَّة تنصهر في بوتقة الاعتراف والتقدير التي يتمركز عليها التفكير الإنساني؛ حيث الكل يسعوا إلى نيل الاعتراف والتقدير وعلى جميع المستويات، مستوى الحاكم ومستوى المشارك ومستوى المحكوم، مستوى الحر ومستوى العبد، فالعبد كغيره من البشر يبحث عن قيمة الاعتراف والتقدير، أن يعترف له سيده بأنَّه مخلص لكي يزيد في الطَّاعة وأن يقدِّره على هذا الإخلاص، والابن الذي يطيع والديه في غير معصية الله عزَّ وجلَّ يريد أن ينال منهما الاعتراف والتقدير لكي يستمر في هذه الطَّاعة، وهكذا الحاكم يسعي إلى أن ينال الاعتراف

والتقدير من رعيته بأنَّ النظام الذي يترأسه هو الأفضل وأنْ يقدِّروا هذا التفضيل، أو أن يقدِّروا الظروف التي لم تمكّنه من تحقيق خطابه أيَّام الدِّعاية الانتخابيَّة، وهكذا المحكومون يسعون لنيل الاعتراف والتقدير من الحاكم على تحمّلهم فترة حكمه وأن يقدّرهم على هذا التحمّل؛ ولذلك فإنَّ البدائل القيميَّة لهذا المجال العلائقي تستوجب استخدام الخماسي في التعرُّف على السُّلوك الذي يتغيّر حاله من شخص لآخر ومن ظرف لظرف، وبخاصة أنَّ السُّلوك البشري يسعى إلى تحقيق الاعتراف والتقدير في مقابل إشباع الحاجة كما هو مبيَّن في الآتي:

. سلوك يعترف بالحاجة ويقدّرها، يحقِّق الرّضاء، ويؤدّي إلى إثبات الذَّات.

. سلوك لا يعترف بالحاجة ولا يقدّرها، يحقِّق الاضطراب، ويؤدّي إلى الإنسحابيَّة.

. سلوك يعترف بالزّائد عن الحاجة ويقدّره، يحقِّق الرِّضا، ويوصف بالعقليَّة.

. سُلوك لا يتدخل فيما لا يعنيه، يحقِّق الرِّضا، ويوصف بالمنطقيَّة.

سُلوك لا يُفعل إلا لمصلحة، يحقِّق الرِّضاء، ويوصف بالشّخصانيَّة.

مجال العلائق القيميَّة السِّياسيَّة

يحتوي مجال العلائق القيميَّة السِّياسيَّة على العلائق الآتية:

1 ـ علاقة الفكر.

2 ـ علاقة السِّياسة.

3 ـ علاقة السُّلطة.

4 ـ علاقة الموقع.

5 ـ علاقة الاستقلاليَّة.

6 ـ علاقة الحرِّيَّة.

وتكمن في هذه العلائق القيميَّة الست عناصر القوَّة الدَّاعمة للإرادة والقامعة إليها في وقتٍ واحدٍ، وهذا ما يجعل السُّلوك البشري في حالة تماثل مع الفعل أو في حالة تناقض معه، مما يؤدِّي إلى التفاعل والمشاركة والوحدة، أو يؤدِّي إلى الرَّفض والتمرّد والصدام، أو أن يؤدِّي إلى الخنوع والادعاء والنفاق السياسي.

ولا يمكن أن تمتد الشخصيَّة في هذا المجال ما لم تكن قادرة على التفاعل مع متغيراته القيميَّة، وتتمكن من معرفة الفروق بين مفاهيم ودلائل بدائله المعياريَّة، وقبل أن تَقدِمَ الشخصيَّة على الفعل ينبغي أن تبلغ المستويات الآتية:

1 ـ المعرفة:

المعرفة بالسياسة ليس بالأمر الهين، فهي في كثير من الأحيان تكون أفعالها مخالفة للمفهوم المتوقَّع، والصدق فيها نسبي، والأمر الواقع سيِّدًا في مجال العلائق القيميَّة السِّياسيَّة، وكل شيء قابل للتغيير فلا تثق، وإن قسمت بربك تَحنُث، فعليك بالمعرفة قبل أن تَقدِم.

2 ـ الوعي:

هناك من لا يفرّق بين المشاهد الذي يعتمد في التعرُّف عليه بوسيلة النّظر البصريَّة، وبين الملاحظ الذي يعتمد التعرُّف عليه بالوعي، فالمشاهدة ليست الملاحظة، كل الحيوانات تشاهد ولا تلاحظ، إلا الإنسان الذي ميزه الله بأحسن تقويم قادر على الملاحظة، لكن وللأسف البعض من بني الإنسان ملاحظاتهم بسيطة فلا تمكنهم من بلوغ الوعي، وهؤلاء حالهم كحال الأسماك التي ترى شِباك الصِّيادين وتقع في الفخ، والوعي بهذا المجال لا يتم إلا إذا تمكنت الشخصيَّة من كشف العلاقة التي تربط قيمه بخيط لا يشاهد.

3 ـ الإرادة:

هي مكمن قيم الاختيار، فلا إرادة إلَّا بعد معرفة ووعي، وهي نتاج قرار قابل للتنفيذ، وبعد التنفيذ يتم تحمل المسؤوليَّة تجاه أي أعباء قد تترتَّب عليه، ونتائج الفعل الإرادي مُرضية للفاعل حتى وأن كانت النتائج الأوَّليَّة

سالبة؛ ولذا فإعادة الكرَّةُ أمرٌ مرغوب من أجل تحقيق الموجب، والتحييد عن الأمر أو الفعل الإرادي أمر ليس بالسهل، ولكنه ليس بالأمر المستحيل، والقناعة هي القوّة الدَّافعة للسُّلوك الإرادي. فالإقدام بلا إرادة قد ينقلب إلى إحجام أو يؤدّي إلى نكوص.

4 . التقدير:

مجال العلائق القيميَّة السِّياسيَّة يجعل الإنسان في ظروف ينبغي أن تُقدّر، فالحاجة قد تجعل البعض في حالة ضعف، فيترتب عليها ارتكاب أفعال وسُلوكيَّات يوصف مرتكبيها بأنَّهم مسلوبو الإرادة، والجهل بحقائق الأمور قد يجعلهم في حالة سلوكيَّة سالبة، والخوف والطمع والمصلحة، هي الأخرى قد تجعل الإنسان في حالة ضعف وحاجة، وقد تجبره على أن يُظهر ما لا يُبطن؛ أيضًا الموقع أو المركز الوظيفي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، يُحمّل الإنسان ما لم يستطع أحيانًا، أو أن يجعله يمارس دورًا لا يمكن أن يسلكوه لو لم يكن في أحد مواقع المسؤوليَّة، ومع ذلك لكل شيء ثمن قد لا يُقدّر في لغة القواميس السِّياسيَّة، وكذلك في لغة القاموس الاجتماعي الذي ينتظر الإصلاح في كل حين، ولكن بموضوعيَّة ينبغي أن لا نغفل عن لغة التقدير المتبادل.

5 . القدرة:

القدرة على التمييز بين ما ينبغي وما يجب؛ فما ينبغي مفهوم تفضيلي، وما يجب مفهوم وجوبي لا مجال للتفضيل والاختيار في أدائه،

فعندما يفعل الإنسان أو يقدم على أداء الأفعال في ظروف تسمح له بالاختيار ينبغي أن يختار الأحسن أو الأفضل، ولكن عندما يؤدّي مهام لها صلاحيَّات واختصاصات محدَّدة بمسؤوليَّات فيجب عليه أداءها، فالحقوق يجب أن تؤخذ، والواجبات يجب أن تؤدّى والمسؤوليَّات يجب أن يتم تحمُّلها؛ ذلك لأنَّها ليست مجال اختيار، فالقدرة هي التي تؤدِّي إلى توليد الإرادة التي تمكّن الفاعل من أداء الأفعال، سواء كانت في مجال التفضيل أم في مجال الوجوب، ومن لا يمتلك القدرة لا يمكن أن تكون له إرادة.

والقدرة كفعل تستوجب التمكّن من الآتي:

أ ـ التمكّن من اتخاذ القرار.

ب ـ التمكّن من التنفيذ.

ج ـ التمكّن من المتابعة.

د ـ التمكّن من التقييم.

ر ـ التمكّن من المراجعة.

ز ـ التمكّن من التصحيح.

وعليه: لا يمكن أن يكون التعاون أو المنافسة بين الأفراد إذا لم يتمكنوا من اتخاذ القرار الذي يمكنهم من ذلك، وبالطبع سيكون الأفراد قادرين على التنفيذ إذا امتلكوا الإرادة، وعندما يكونوا قادرين على اتخاذ القرار والتنفيذ فبالضرورة يكونوا قادرين على المتابعة والتقييم والمراجعة التي تمكنهم من التصحيح والتصويب.

ولهذا فمجال العلائق القيميَّة السِّياسيَّة، مجال امتدادي تمتد فيه التنظيرات والأفكار كما تمتد فيه التطبيقات والأفعال الملاحقة بالتماثل والملاحقة بعدم تماثل، وهذا الذي جعل بعض الممارسات والتطبيقات في حالة اختلاف مع التنظير، وبدون شك أنَّ للرّغبات والميول والمصالح أثرًا على الفعل والسُّلوك سواء في حالة الإقدام أم في حالة الإحجام؛ فالفكر قد يجعل الإنسان في حالة ميول إلى ما يجب والابتعاد عما لا يجب، أو أن يجعله في الحالة المعاكسة لذلك، وهذا ما يجعل سلوكه في حالة انقياد وتبعية، أو في حالة تعاطف، أو في حالة اختلاف وتصادم، وهكذا قد تكون الشخصيَّة في حالة خنوع أو حياد أو تمرد أو حوار بين الأنا والآخر. وبناء عليه يوصف النظام السياسي بأنَّه ديمقراطي أو استبدادي أو فوضوي.

ويحتوي هذا المجال أيضًا على خمسة بدائل معياريَّة لكلٍّ علاقة من العلائق القيميَّة، وأنَّ كلّ بديل من البدائل القيميَّة يتماثل مع قطاع من

قطاعات خماسي تحليل القيم الذي يتكون من الأنانيَّة، والإنسحابيَّة (ذاتيَّة تميل إلى الأنانيَّة)، وذاتيَّة، وتطلُّعيَّة (ذاتيَّة تميل إلى الموضوعيَّة)، والموضوعيَّة؛ ولذلك تتباين اختيارات المبحوثين من مجتمع لآخر ومن موضوع لآخر، فما يراه البعض مناسبًا أو مفضَّلًا في اختياراتهم للبدائل القيميَّة قد لا يراه البعض الآخر كذلك، أو أنَّهم يروا ما هو أفضل؛ ولذا تتأثَّر اختيارات المبحوثين بالمتغيرات السِّياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والنَّفسيَّة والذّوقيَّة والثَّقافيَّة.

ويشكِّل مجال العلائق القيميَّة السِّياسيَّة (الشَّخصيَّة) وفقًا لخمسة مستويات معياريَّة أثبتها خماسي تحليل القيم، وهي:

1. المستوى القيمي الموضوعي:

وهو المستوى الذي يتم فيه استيعاب الحدث كما هو، ثم المشاركة فيما يجب، وتحمّل المسؤوليَّة المتطابقة مع فعل المشاركة، فهذا المستوى هو الذي يُظهر النضج العقلي والفكري والسُّلوكي عند الإقدام على تأدية الأفعال بإرادة، وتؤمن هذه الشخصيَّة بممارسة الدِّمقراطيَّة، وتفضل سيادة الحوار في علاقاتها مع السُّلطة، ولا تقبل بالإملاءات الفوقيَّة، وتعتبر من الأهميَّة أن يوضع الشَّخص المناسب في المكان المناسب، فلا تقبل بممارسة الضغوط القرابيَّة والطائفيَّة والحزبيَّة، التي من شأنها أن تؤثر على المعايير الموضوعيَّة في التكليف بالمهام والمسؤوليَّات الجسام، وأنَّ لكل فرد دور في ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وتحمّل المسؤوليَّات؛ ولأجل ذلك تتكامل

الحياة الاجتماعيَّة بين الأفراد والجماعات وتتسع دائرة المشاركة التي تمكّن الجميع من التفاعل وتحقق لهم التوافق الاجتماعي، فلا ينبغي أن تستقل كل شخصيَّة عن غيرها من أفراد المجتمع الذي يفسُح إليها مجالات المشاركة في ممارسة السياسة، وعلاقاتها مع الحرّيّة علاقة قرار، لأجل التمكن من المشاركة في تقرير المصير، وأن لا يكون تقرير المصير بيد أحد من كان، فلا تقبل بأن ينوب أحد عنها في اتخاذ القرارات ذات العلاقة المباشرة بأمرها، سواء كان هذا الأمر سياسة داخليّة أم خارجيّة أو في حالة السّلم أو في حالة الحرب.

2. المستوى القيمي التطلُّعي:

في هذا المستوى تطلّعي تصبح الذَّاتيَّة في حالة ميل إلى الموضوعيَّة، فتميل إلى المشاركة في الأحداث الموجبة، وتبتعد عن المبررات السَّالبة، تقبل بأن ينوب عنها من تعتقد أنَّه قادر على تمثيلها؛ ولذا فهي تؤمن بالتجربة البرلمانية السَّائدة في العالم، وعلاقاتها مع السُّلطة حياديَّة، ولم تكن ضد ولا مع أحد أطراف النزاع على السُّلطة؛ وذلك لاقتناعها بممارسة الدِّمقراطيَّة النيابيَّة، وهي طموحة في الحصول على المراكز القياديَّة وممارسة السياسة التي تحقق التَّوزان الداخلي للفرد، ولا تقبل السيطرة، وتأمل عدم التدخل في شؤونها الخاصَّة، وعلاقتها بالحرّيّة علاقة تعبير، فكل فرد من حقِّه أن يعبِّر عن إرادته بحريّة، فلا يحقّ لأحد أن يُلجمه أو يصادر حقّه في التعبير.

3 . المستوى القيمي الذَّاتي:

هو المستوى الذي تبني فيه علاقاتها على أسس قيميَّة، وتعتبر السياسة الناجحة هي التي تخدم المجتمع الذي تنتمي إليه، وتفضّل مجتمعها على مجتمع الآخرين، معاييرها الفكريَّة شعوريّة، وهي دائمًا في حالة إحساس بما يدور في محيطها، تحب المشاركة على المستوى المحلي، وتعتقد في سلامة السياسة المركزيَّة المنبثقة من القوانين المعمول بها، وترى في اتباع السُّلطة أمرًا واجبًا بغض النَّظر عن السياسة المتَّبعة من قِبل المنفّذين إليها، إنَّها المتحررة اجتماعيًّا والخانعة سياسيًّا، تعتمد في علاقاتها على المشاهدة أكثر من اعتمادها على الملاحظة، ولهذا لا تتمكن من اكتشاف الأفعال ذات الدّلالة غير المباشرة، لا يهمها من يكون في السُّلطة إذا لم يكن من الأقارب، فلا ترتبط به إلا بغاية مؤقتة، من منافع ومكاسب مادّيَّة أو معنويَّة، لا تميل إلى الاستقلال عن ذوي العلاقة، تسعى دائمًا إلى التوفيق بين الحرّيّة الشخصيَّة والضَّوابط الاجتماعيَّة، وهذا الذي يجعل علائقها مع الحرّيّة مجرد ادعاء ليس إلا.

4 . المستوى القيمي الإنسحابي:

هو المستوى الذي تركن إليه الشخصيَّة عندما تكون في حالة ذاتيَّة تميل إلى الأنانيَّة، تفكيرها بسيط، قدراتها العقليَّة لا تمكِّنها من التحليل والتفسير العلميين، ولا تتمشى مع الأطروحات الفكريَّة، التي تسعى لحل المعضل السياسي أو الاقتصادي، فهي لا تفكر بهذا المستوى، بل إنَّها

تعتقد أنَّ الأمور تسير هكذا ضربة عشواء، وهذا ما يجعلها في حالة تعارض واختلاف مع التنظير والطرح الفكري، علاقتها مع السياسة ضبابية غير واضحة المعالم، وكأنَّ ما يجري سياسيًّا هو ضرب من الفوضى التي لا لزمة إليها، فلا تتقيد بالأوامر والنواهي؛ ولذا تتمرد على السُّلطة في حديثها وأفعالها، والتخريب في قاموسها لا يعد من المحرمات، علاقتها مع الموقع (المركز) علاقة تعويضيَّة، ولا تسعى له بقدرات واستعدادات موضوعيَّة، بل لمجرد التعويض عن الحرمان أو النقص الذي تعانيه، سلوكها اليومي والحياتي بشكل عام سلوكًا مقيّدًا وفقًا لضوابط معتادة لا وفقًا للتفكير والتخطيط، ولأنَّها هكذا فلا سلوك لها إلا الفوضويَّة، وتعتقد أنَّ الحرّيّة أن تفعل كيفما تشاء.

5 ـ المستوى القيمي الأناني:

هو المستوى الذي لا ترتقي فيه إلى حب الآخر، تنظر لأناتها وكأنَّها العالم بأسره، فلا تعتقد أن يكون شيء خارجها أفضل منها، تعتقد فيما تسلك ولا تعتقد في سلوك الآخرين، لا يمكن أن تكون قادرة على القيادة، بل أنَّها تقاد دون أن تعرف، فهي تبعيّة لعدم قدرتها على استيعاب الحدث، تعتقد أنَّ ممارسة السِّياسيَّة قاصرة على السياسيين وكأنَّ الأمر لا يعنيها في شيء، فتقبل باستبداد السياسة التي ترى أن تكون مركزيّة بيد الحاكم من يكون، وفي مقابل ذلك لا ترى مانعًا في منافقة السُّلطة، فهي يوما على حالة الشَّكّر ويومًا على حالة الذم وأحيانًا ساعة بساعة، وكلّ حسب

الظرف والموقف الذي هي فيه، وإذا كُلِّفت بمهمة أو وظيفة تميُّزها في أحد المراكز لأيَّة أسباب، فلا ترى في الموقع إلا للتعالي والتسلط على الغير، مما يجعلها في حالة فقدان توازن، ويحسسها بأنَّها في حالة تشريف فليس لها مثيل، ولهذا علاقتها مع الاستقلاليَّة علاقة تسيب وإهمال وألَّا مبالاة، فلا تتقيد بالأوامر والنواهي طواعية، بل كما يقولون (تخاف ولا تخشي)، وعلاقتها بالحرّيّة علاقة انفلات، فلا تتحمّل المسؤوليَّة ولا تؤدِّي الواجبات.

وعليه:

فإنَّ مجال العلائق القيميَّة السِّياسيَّة يعتمد في الاختيار أو اتخاذ القرار على العقل أكثر من اعتماده على الضَّمير؛ ولذلك فإنَّ الاستخدامات العقليَّة في كثير من الأحيان تسود هذا المجال أكثر مما تسوده الأفعال، وإن لم يكن العقل قبل الفعل فإنَّ الخسارة هي الاحتمال المتوقَّع؛ ولذا ينبغي أن يسود التأني حيز التفكير كما تسوده السُّرعة في بعض الأحيان، فالسُّرعة التي تؤدِّي في بعض الأحيان إلى الخسارة، لا تختلف عن البطء الذي تضيع بأسبابه فرصة النجاح أو الفوز؛ لذلك فإنَّ العقل أساس النَّجاح عندما يكون الاستخدام أمثل، وحسابات السياسيين للأمور تختلف عن حسابات غيرهم لها، أقوال تتابعها الأقوال، وأفعال مع إيقاف التنفيذ.

وعليه: إنَّ تحليل مجال العلائق القيميَّة السِّياسيَّة يؤدّي إلى معرفة اتجاهات المبحوثين وميولهم ومدى تمسُّكهم بالقيم التي تكوّن شخصياتهم أو تهدّها، ونظرًا لوجود الفروق الفرديَّة في القدرات والاستعدادات

والمهارات فإنَّه بالضرورة تتباين نتائج اختيارات مجتمع الدِّراسة ونتائج اختيارات العيِّنة مهما كان نوعها.

ولأنَّ مجال العلائق القيميَّة السِّياسيَّة ذا صلة بالقرار وأساليب اختياره، وبالتنفيذ وطرق اعتماده فإنَّه بلا شك ذا صلة بالإرادة التي تتميز من خلالها كل شخصيَّة وكل جماعة ومجتمع وفقًا لقطاعات الخماسي المتماثلة مع البدائل القيميَّة لكل علاقة من العلائق السِّياسيَّة التي تؤكّد الآتي:

1 . روابط اجتماعيَّة طبيعيَّة، تؤدِّي إلى مجتمع الذَّاتيَّة، فتحقق الشخصيَّة العاطفيّة.

2 . روابط منفعيّة تؤدِّي إلى مجتمع الأنا فتحقق الشخصيَّة الفرديَّة (الشّخصانيَّة).

3 . روابط فكريَّة، تؤدِّي إلى مجتمع الفكرة، تحقّق الشخصيَّة الموضوعيَّة (العقليَّة).

4 . روابط سياسيّة تؤدِّي إلى مجتمع الاختراق فتحقق الشخصيَّة الإنسحابيَّة.

5 . روابط إنسانيَّة تؤدِّي إلى المجتمع الإنساني فتحقق الشخصيَّة الاقترانيَّة (المنطقيَّة).

مجال العلائق القيميَّة الذّوقيَّة

يحتوي مجال العلائق القيميَّة الذّوقيَّة على العلائق التي تتجاوز بالعقل البشري من حالة الإحساس بالمشاهد إلى حالة الإحساس بالمجرد، فالقيمة الحسّيَّة بالجميل على سبيل المثال: لا تقتصر على النظر إلى المشاهد فقط، بل تتعداه إلى الإحساس بقيمة الجمال المجرد (الذي يكمن في الجميل).

ومن هنا فالذَّوق ملكة من ملكات العقل الإنساني، يتمكّن من خلالها المتذوق من المعرفة الوافية، التي تمكّنه من كشف العلائق التي تتجسّد في المذاق، وكشف العلائق التي تربطه بالمجرد، فهي لا تقتصر عند حد المشاهد، بل تمتد لتشمل ما هو ملاحظ؛ ولذا ترتبط هذه الملكة الحسية العقليَّة بملكة التفكر والتذكر، مما يجعل عند صاحبها نضر (حسن المظهر وحسن الرونق) في تفكيره ذوق، في سلوكه وحركته توازن ذوقي، في اختياراته وتعبيراته اللفظيَّة والحركيَّة حُسن أداء يلامس حاسة التقدير عند الآخر إلى أن يحقِّق لها الفطنة، ويولِّد عندها الانتباه، فتصحو وكأنَّها كانت في حالة غفلة عن محيطها الذي يملأه الجمال، فتسموا معه (مع الذَّوق) إلى مناغاة الجميل، وعندما تصحو يصبح للنظرات لغة ومعنى، وللهمسات لغة ومعنى، وكذلك للصَّمت لغة ومعنى، وعندما يصلا الاثنين إلى السّمو المشترك يكون التوحّد هو لغة التفاهم التي لا تقبل بالحدود.

وفي الملكة الذّوقيَّة تنعدم الغفلة، وتسود الفطنة، فتخاطب كل خلية ما يماثلها من خليّة، وعندما يحدث التوحّد الإرادي يتحقّق السُّمو الذي

يمكّن المتحدينِ من العيش في ميادين نشوة الذَّوق الرَّفيع، وعليه فإنَّ الذَّوق ملكة تحقق الاندماج الحسي الذي لا يمكن التعرُّف عليه بسهولة أو هكذا ضربة عشواء.

ويُعد مجال العلائق القيميَّة الذّوقيَّة مجال للرُّقي القيمي سواءِ كانت هذه القيم ظاهرة في المشاهد أم كامنة في مضمون الفكرة والنّص، أو أنَّها كامنة في الملاحظ؛ ولذا فهي الملكة الإدراكيَّة التي لا تتم إلا بالتفحُّص والتأمُّل الواعيين اللذين يمكِّنان الشخصيَّة من معرفة ما تدل عليه الآيات العظام في المشاهد أو الملاحظ، هذه الملكة دائمًا في حاجة للاستثارة لأجل المعرفة الوافية، والإحساس الرَّفيع، وعندما تستثار الملكة الذّوقيَّة يحدث الاسترشاد إلى الحُسن والاستمتاع بالرونق في الكلمة وفي الفعل والسُّلوك الذي يثير الفسحة الرَّفيعة والطمأنينة في النَّفس، ويترتَّب على هذه الفسحة الشُّعور بالانجذاب تجاه المصدر الذي استفزَّ الملكة الذّوقيَّة التي تُمكّن الإنسان من أن يُضفي على المصدر أو الموضوع الذَّوقي مسحة من خصوصّيته ونشوة من تفاعله.

والتذوق دليل اندماج الفرد مع المصدر أو الموضوع الذي تَمكّن من الانتشار والسّريان فيه، فتتمكّن خفاياه وأسراره من الامتداد في النَّفس لتطمئن وتسمو مع الخيال إلى أن تهدءا بملامسة الذَّوق المحقق للإشباع الحسي والمعرفي.

وعليه فإنَّ توحّد الأحاسيس والمشاعر مع الخيال يؤدّي إلى الرُّقي الذي يلامس القيم التي تعزز الإرادة وتحقق التفاعل الوجداني بين الرغبات والطموحات التي تُمكّن الفرد من استكشاف الحُسن الممتد في المسافة بين المشاهد والمجرد.

ويدل مجال القيم الذّوقيَّة على سلامة عقل المتذوق ومزاجه، وهذا لا يعني أنَّ الذَّوق حاسة مزاجية، بل الذَّوق حاسة عقليَّة وملكة تنمو كلما تُنشَّط، وتضعف وقد تنتهي كلما تُهمل.

ومن هنا فالعلماء والمفكرين والحكماء والشُّعراء والفنَّانين في معظم الأوقات هم ذوي ملكات ذوقيَّة ومخيّلة إدراكيّة رفيعة؛ ولذا لا يمكن أن يكون ضعيف القدرات العقليَّة ممن يمتلكون ملكة الذَّوق الرَّفيع.

ولأنَّ الذَّوق مكوّن قيمي، فيجب أن نتعرّف على معاييره ومقاييسه التي تُمكّننا من تقدير قيمه المادّيَّة والمجرّدة، فالجمال كقيمة ذوقيّة لا يَكمُن في ذاته، بل يكمن في الجميل مشاهدٍ أو مجردٍ، حركة أو سكون، إظهارٍ أو إدغام، تجويدٍ أو لحنٍ، لونٍ أو نغمةٍ، وعليه لا يمكن أن يوصف الجمال بذاته، بل يوصف بالجميل الذي توحّد أو اشتمل فيه.

ومن ثمَّ فالقيم الذّوقيَّة إيحائية، تستفز من يفكر ذوقيًّا، ثم تتركه وهلة يفكر، وتظهر له ثانية لتجعله يتأمل، وتتركه ليفكر من جديد، وفي المرة الثَّالثة تُظهر له ما ينبسط به فيبتسم ويتابع فيتأمل بنضر، وعندما يعرف يتعلق بالفكرة والصورة والعلائق التي تربط المضامين أو المشهد والنَّص،

ومع ذلك قد تكون في البداية الإيحاءات الذّوقيَّة وكأنَّها ضرب من المستحيل، ثم تفاجئك بأنَّها في دائرة الممكن، وعندما تظهر في الذاكرة تنتقل إلى ملكة الذَّوق وكأنَّها تلتحف بسترة الكمال المرتبط بأفعال المحبَّة والبهجة والسُّرور.

ولهذا في مجال العلائق الذّوقيَّة رفعة في الحس تؤدِّي إلى السُّمو العقلي والمعرفي الذي يُمكّن الإنسان من الاطلاع على الكامن والإحساس به والتعرُّف عليه مثلما يتعرف على النغمة الكامنة في المعزوفة، والصور البلاغية الكامنة في المقطوعة الشعرية، والسيناريو الكامن في النَّص، والقصة الكامنة في اللوحة الفنية، والنشوة الكامنة في السعادة، والإعجاز الكامن في آيات الخالق.

ولذا يحتوي مجال العلائق القيميَّة الذّوقيَّة على سبعة علائق تُتمّم بعضها البعض في تفطين العقل الإنساني من الغياب إلى الحضور ومن المشاهد إلى المجرد (من النظر إلى المخلوق إلى النظر إلى الكيفيَّة التي خلق بها وخلق عليها)؛ ولذا فإنَّ للذّوق أثرًا على السُّلوك والفعل؛ حيث يجعل الإنسان في حالة بهجة وتفاؤل وعطاء، أو في حالة راحة وتعجب واستبصار، أو في حالة تقرّب وخضوع وترويح، والذَّوق كمحقق للرّفعة الحسّية يتطلّب التذكر والتفكّر والتأمُّل.

ويعد هذا المجال العلائقي مجالا لتحقيق السمو القيمي الرَّفيع الذي يبرز أهميَّة الذَّوق العقلي والوجداني لِما يشاهد ولِما يلاحظ وعندما يتحقق

هذا السمو تصبح اللذّة ذوقًا حسّيًّا يحقِّق المتعة، فعندما تسبح في البحر وقت الغروب تربطك متعة الشفق الذي يُلوّنُكَ مع ماء البحر وصفاء السماء بسترة لونه الذهبي الذي لا عيار له إلا الذَّوق، حينها بإمكانك أن تكتب على السماء ما تشاء وأنت تسبح في البحر، وبإمكانك أن تجول بين عالم الواقع وعالم الأمل دون أن تترك العوم.

وعليه: الذَّوق نتاج حسي له أثر سلوكي يظهر في الفكرة وفي الكلمة المنطوقة والمسموعة والمكتوبة، ولهذا فإنَّ الذَّوق تمييزي وليس مزاجي، فيه الأصالة والصفاء وفيه الحسن واللباقة؛ ولذا فإنَّ النَّفس تطمئن وتنتشي بالقيم الذّوقيَّة، فمِن مشاهدة وملاحظة الجميل يدرك العقل الجمال ويلامسه السمو؛ حيث ترتبط قيم هذا المجال بالآخر الذي في مكوناته القيم الذّوقيَّة سواء كان إنسانًا أم جمادًا أم نباتًا أم حيوانًا.

ومع أنَّ مجال العلائق القيميَّة الذّوقيَّة يشكل وحدة واحدة إلا أنَّ الإحساس بأثر هذه القيم يختلف من شخص لآخر ومن ظرف إلى ظرف، ومن جنس إلى جنس آخر، مما يستوجب تطبيق الخماسي على البدائل المعياريَّة لكل قيمة من قيم هذا المجال لكي يتمكن البحّاثة من معرفة أثر المتغيرات على اختيارات المبحوثين، التي تجعل منهم الأنانيون، والذَّاتيون الذين يميلون إلى الأنانيَّة، والذَّاتيون، أو تجعل منهم ذاتيون يميلون إلى الموضوعيَّة، أو تجعلهم موضوعيون.

ونظرا لوجود الفروق الفرديَّة فإنَّ الشخصيَّة قد تتمركز في أفعالها وسُلوكيَّاتها على أحد المستويات القيميَّة الآتية:

1 . المستوى القيمي الموضوعي:

مستوى المعرفة الواعية والإدراك الواقعي، إنَّه السُّلوك المؤسس على حقائق وليس على عواطف وأعراف سائدة، وهو السُّلوك الذي يُمكّن الشخصيَّة من معرفة الوجود، والحكم عليه بما هو موجود، والشخصيَّة الواقعية هي التي تعتمد على العقل في تقدير وتقييم الأشياء، وعندما تقرر الشخصيَّة أن تحتكم بما هو محسوس فإنَّها تود أن تحتكم بما هو واقع، وليس بما هو متوقَّع؛ ولهذا الحياة شواهد وأدلة ولأجل الاطمئنان النَّفسي يسترشد الإنسان في أحكامه بالمثبت، فلا برهنة إلا بواقع مشاهد أو ملاحظ، سواء في حالة الحركة أم في حالة السكون، وهذه الشخصيَّة لا تَقدِم على أداء الأفعال أو تُكوّن علائق إلا بعد أن تتبيّن وتستبصر لتعرف ما يجب وما لا يجب، ولهذا فعلاقاتها تُبنى على الأخذ والعطاء وتحمّل المسؤوليَّة، إنَّها شخصيَّة متفاعلة مع الواقع الاجتماعي والإنساني، ومتطلّعة لصناعة المستقبل المشترك، تؤمن بأنَّ القدرات العقليَّة في حالة تطوّر معرفي فيجب أن يُمكّن الإنسان من معرفة التحليل والتفسير وممارسة النقد البناء الذي يفيد المجتمع الإنساني، إنَّها الشخصيَّة التي تُحرِّض على فعل الخير ولا تتردد عن فعله، وتسعى إلى السيطرة على الطبيعة عندما تنظر إليها كمكمن للكنوز التي تفيد النَّاس.

2 ـ المستوى القيمي التطلُّعي:

مستوى لغة الحوار الجامع، الذي لا يعتقد إلا في الحُجَّة المقبولة بين أطراف الحوار، أو بين الأنا والموضوع، ومن هنا نجد في لغة المؤمن المنطق القدري يتساوى مع المنطق التجريبي، الشَّخصيَّة التي تؤمن بالمشيئة الإلهية ترى أنَّ الإنسان رهن هذه المشيئة والقوانين التي تحكم الوجود؛ ولذا فمن المنطق أن يتقبَّل هذا الوجود وما فيه من خيرات وما فيه من كوارث، وتؤمن هذه الشخصيَّة بأنه لو لم يكن من وراءها خالق ما خُلقت، وبما أنَّ من ورائها خالق لا بد وأنَّه الأفضل منها والأقدر حتى قَدِرَ على خلقها، ولأنَّه كذلك فيجب أن يُقدّس ويُعبد اعترافًا بخَلقهِ، واعترافًا بقصورها عن ذلك، إنَّه المنطق الذي لا ينبغي تجاوزه في الحوار.

والمنطق لغة التمييز بين الحق والباطل (بين الشيء ونقيضه)، فالذي يميز يَعرِف ويُقدِّر الأشياء وفقًا لمعطياتها ومبرراتها المعرفية، والذي لا يعرف لن يعرف، الشخصيَّة التي تمتلك ملكة التمييز لا تقتصر في تمييزها على الأدلة والشواهد المحسوسة فقط، بل تتعداها إلى معرفة كشف العلائق المجردة، والتمييز بينها بالمدركات العقليَّة التي تتعرّف على القضايا الجامعة والقضايا المانعة وتُميّز بين مواضعها، وترتقي إلى مستوى المعرفة الذّوقيَّة حسًا وتجريدًا، فَتُعِبر عنها شعوريًّا بالكلمة، والصِّور البيانية، والصّور المشاهدة، كما أنَّها تعبر عنها بالحركة وبالمعزوفة التي تحقق النشوة وترتقي بالذَّوق الذي

يجول بكل عقل وخيال وتُمكنه من أن يُعبّر بإرادة، لأجل خَلق التَّوزان وتحقيق التكيُّف الاجتماعي.

3 . المستوى القيمي الذَّاتي:

إنَّه المستوى الذي تُقدّر فيه الذَّات وتُعتّبر من جميع أفرادها وجماعاتها، وتُعد العلائق في هذا المستوي فرضيّة لاعتمادها على القيم المستمدّة من الإطار المرجعي للمجتمع، والعلائق الفرضية لا تعني ما يشير إلى الإكراه والإرغام بالقوّة، بل تعني التقدير الفائق للموروث الحضاري والثقافي للمجتمع الذي تنتمي إليه الشخصيَّة، الذي يستوجب الطاعة والتسليم به. المحاكاة سلوكا عاما بين الأفراد والجماعات، والتقليد الاجتماعي سلوكًا متعارفًا عليه ويُعد محبّبًا، فعندما تسلك الشخصيَّة وفقًا لِما تحتويه هذه المعارف توصف بأنَّها تقليدية، وتحسب علاقات النجاح بدرجة الاندماج في ذات المجتمع، والتقيد بنواهيه وأوامره، وهذا النجاح هو مُدخل البهجة في النَّفس، ومكمن الرّضاء الاجتماعي والرّضاء النَّفسي، وبالإرادة تنسجم الشخصيَّة مع فنونها وتراثها، وعندما تصل إلى هذا المستوى يتحقق إليها الترويح الوجداني وتتخلّص النَّفس من الهموم، والتقدير سمة سائدة بين أفراد المجتمع وجماعاته.

4 . المستوى القيمي الإنسحابي:

مستوي الشخصيَّة الذَّاتيَّة عندما تميل إلى الأنانيَّة تصبح في حالة وهميّة؛ حيث تمارس السُّلوك المخادع والمضلل للنفس والآخر، ولا تلتزم

بأوامر الضَّمير وضوابط الذَّات العامَّة، وتتحين الفرص التي تُظهرها على حساب الذَّات، وتعتقد أنَّها على درجة عالية من القيم وهي ليست كذلك، مدركاتها الحسية لا تتجاوز دائرة الأنا، فتقيّم الأمور بمعايير هذه الدائرة الضيقة، ولا تجتهد في المعرفة والتحليل العلمي الموضوعي، بل تميل إلى إرجاع الأمور إلى الأحكام الغيبية هروبا من المشاركة التي تستوجب الاستماع إلى الآخر والاعتراف به، وبحقوقه وواجباته ومسؤوليَّاته، تُفضّل أفعال الانسحاب على أفعال الإقدام الموجب؛ لأجل ضمان استقرار حالتها على ما هي عليه، وتقيس كل شيء بمعاييرها المعتمدة على المقاييس الإنسحابيَّة، والراحة كل شيء، فلا تجتهد ولا تجهد نفسها فيما يفيد، ونتيجة لفقدانها ملكة الذَّوق الرَّفيع، لا تتمكن من معرفة المجرد، وفي علاقاتها مع الآخر تنظر إلى الأدب بأنَّ وضيفته تعويضية، فلا تعتبره كفكر، بل تعتقد وكأنَّه بضاعة لمن لا عمل لهم، وعلاقتها مع الطبيعة علاقة خضوع، فلا تعترف بتأثير العقل الإنساني عليها.

5 . المستوى القيمي الأناني:

مستوى قصور التفكير على ما يُفيد الأنا، حتى ولو كان على حساب الآخرين، إنَّها الشخصيَّة التي لا تعطي للحياة أيِّ معنى، والوجود بالنِّسبة إليها وكأنَّه هكذا لا يخضع لقوانين عقليَّة ولا إلى قواعد ثابتة، توصف هذه الشخصيَّة بالعبثية غير المبالية، تطالب بحقوقها وتتهرّب عن أداءِ واجباتها ولا تتحمّل المسؤوليَّة الواجبة عليها، وعلاقتها مع الدّين علاقة

قسريه وليس بإرادة واعية، وجدت نفسها قد شبّت على دين معين فلا ترى غير الإتباع حتى لا تكون في حالة من الاستنكار العام، وكأنَّ الدين قد فُرض عليها كرهًا، فلا تتبع تعاليمه قناعة وإيمانًا، تود أن تترك في سبيلها لتفعل ما تشاء مثلما تشاء، وسعادتها في المادة، فعندما تمتلك بغض النظر عن الأساليب التي تمتلك بها تَسْعُد، تقيّم الأمور بما يعود عليها من منافع ومكاسب مادّيَّة، وفي قاموسها الجمال لا يعني شيء والعلاقة به عابرة، تمر مر السّحاب، قدراتها المعرفيّة لا تمكّنها من التمييز بين الجمال والجميل، والفن بالنِّسبة إليها مضيعة للجهد والوقت فتستهجنه، وكأنّه لا يعني شيء، إنّها الشخصيَّة الوصوليّة التي تمثل الأدوار المختلفة، تنافق الآخرين في سبيل مصلحة الأنا، معتقداتها ضعيفة تقترب من الطبيعة حتى لا تغضب عليها، وتعتقد أن تقربها منها ينجيها من غضبها.

وباستخدام مقاييس النزعة المركزية ومقاييس التشتت، يتمكّن البحّاث من التعرُّف على المتوسطات الحسابيَّة والوسيطات، التي تتماثل مع قطاعات الخماسي التي تظهر التمركز والتشتت في اختيارات المبحوثين على البدائل القيمة ذات العلاقة بالموضوع، هذا ويتمكّن البحّاث أيضًا من التعرُّف على اختبار فريدمان الذي يمكّنهم من التعرُّف على النتائج العلميَّة التي بها تُرفض أو تُقبل الفرضية الصفريَّة، ما يجعل قطاعات الخماسي في حالة تطابق أو توافق أو تباين مع الفرضيَّة الصفريّة (العدميّة).

مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة

يحتوي مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة عل سبعة قيم، لكل قيمة من القيم خمسة بدائل معياريَّة كغيرها من بدائل العلائق القيمة للمجالات السَّابقة الذكر حيث يتماثل كل بديل مع قطاع من قطاعات الخماسي الذي يُمكِّن البحّاثة من التعرُّف على أنماط التفكير القيمي السَّائدة في مجتمع البحث أو الدِّراسة.

أنَّ قيم هذا المجال العلائقي هي دائمًا في حالة حركة وامتداد فكري؛ حيث أنَّها تتأثر بالمزيد المعرفي الذي يثريها ويجعلها قادرة على أن تثري السُّلوك المصاحب إليها في كل ظرف، وأنَّ تفاعل الإنسان مع القيم الثَّقافيَّة تجعله في حالة تميّز كلما تمكّن معرفةً وسلوكًا، ومع أنّ الإلمام بالقيم الثَّقافيَّة يفتح آفاق واسعة أمام امتداد التفكير الإنساني إلا أنّه قد يشكل عائقًا أمام سرعة الامتداد غير الواعية التي كانت قبل المزيد المعرفي؛ وذلك لأنَّ المزيد المعرفي يؤدّي إلى الإحجام عن السُّلوكيَّات غير الموضوعيَّة (التي كانت تُفعل على حساب الآخرين)، فبالثَّقافة تفكّ القيود، وبها توضع قيودًا (تُفك من قيد الجهل المعرفي وتوضع به)، والإلمام بمجال القيم الثَّقافيَّة يؤدّي إلى حُسن الفعل ورفعة السُّلوك واستيعاب الآخر بإرادة كما هو لا كما ينبغي أن يكون علية.

ولم يعد التفكير في مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة مقتصرًا على المتوقَّع فقط، بل يمتد ليشمل غير المتوقَّع، فالمتوقَّع لا غرابة أن يتم التفكير فيه،

ولكن من الأفضل أن يُفكر الإنسان في غير المتوقَّع. في أعوام الحرب الباردة كان من المتوقَّع أن تقوم الحرب بين أمريكا والاتحاد السوفييت (بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية)، ومن غير المتوقَّع أن تُدمّر أبراج التجارة العالمية في نيويورك كما حدث في 11 سبتمبر 2001، ومن المتوقَّع أنَّ تهاجم دولة أخرى بالأسلحة النووية، ومن غير المتوقع أن يمتلك الأفراد هذه الأسلحة؛ ولذلك ينبغي أن نفكر في غير المتوقَّع، فقد يصبح واقعًا في عصر انتشار دائرة المعارف والمعلومات العالمية.

إنَّ فلسفة الفروض العلميَّة مبنية على الشّيء ونقيضه (المتوقَّع وغير المتوقَّع) فالباحث الذي يسعي لإثبات فروض بحثه كمتوقَّع قد يفاجئه الواقع بغير المتوقَّع؛ ولذلك يمتد مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة ليشمل غير المتوقَّع كممكن؛ ولأن الممكن احتمالي، إذن لا بد وأن يحتوي على المتوقَّع وغير المتوقَّع، من غير المتوقَّع أن يَقدِم روسي أو أمريكي أو إسرائيلي أو باكستاني ويدمر أحد الرؤوس النووية لبلاده، ولكن إذا فكرنا في غير المتوقَّع قد يصبح غير المتوقَّع ممكنا؛ وعليه ينبغي أن نفكر مرتين قبل أن نقرر، فمعاقبة الذين قاموا بهجمات أحداث 11 سبتمبر 2001م، أمر متوقَّع، ولكن من غير المتوقَّع أن يُقضى عليهم، بناء على القاعدة التي تقول لكل فعل رد فعل مساوي له في القوَّة ومضاد له في الاتجاه، فالأفعال التي تمارس الآن ضد أعضاء تنظيم القاعدة ستولّد بالضرورة منتمين جدد للتنظيم أو إنشاء تنظيمات جديدة متطرفة، مناصرة لهم وقد تثأر من جديد، وذلك

لربط سلوكهم وأفعالهم بالدين الإسلامي والدّفاع عنه، فلو كانت القائمة بالفعل دولة، كان من السهل القضاء عليها (على السُّلطة فيها)، ولو كان الهدف فقط متابعة تنظيم القاعدة، والقضاء عليه، كان ذلك من الممكن، ولكن أيّ امتداد خارج هذه الحدود سيولِّد غضبًا أكثر شدة من ذي قبل، والزَّمن كفيل بذلك، ومن يتوقّع غير ذلك قد يفاجئه غير المتوقَّع؛ فالمسلمون في الظَّاهر قلوبهم شتى، وفي الباطن قلب واحد، والعرب منهم قد وصل بهم الحال إلى أن تقاتلوا على عقال بعير أربعين عامًا، ويصطلحون على بيت شعرٍ، ولهذا فعندما يُمّس دينهم يتوحّدون على بيت شِعرٍ، وعندما يُرفع صوت التوحيد (الله أكبر) تصبح الشهادة أقرب إليهم من حبل الوريد. نعم أنَّهم يحبُّون الحياة وملذاتها ومنافعها، ولكنَّهم في لحظة من لحظات القدر، يضربون بها عرض الحائط، يحبّون أبنائهم وأسرهم ويحبّون الحياة من أجلهم، ولكن أيضًا عندما يُستفزون بالنقيصة أو يهانون في دينهم، يسارعون إلى الشهادة كمنقذ لهم من كل نقيصة، وهذا لا يعني لا يوجد بينهم منحرفون، بالتأكيد لكل قاعدة شذوذ، ولكن في العموم يحبون التسامح، عندما يقابلون بصدور رحبة، شريطة أن لا يكون على حساب الدين والعِرضِ والأرض. مطيعين للحاكم ومعظِّمين له، وأحيانا يصل بهم الحال إلى درجة التملق والمبالغة في إظهار الصفات الحسان حتى ولو لم تكن فيه واحدة من الخصال النافعة، وينقلبون عليه في اليوم خمس مرات بكلمة الله أكبر.

ولهذا فالثَّقافة في حد ذاتها تُعد لغة سلام، لأنَّها تطلّعيّة، تتطلع للآخرين وتسعي لاستيعابهم، ولكن الذي يخالف ذلك هو أساليب المنتمين للثقافات المختلفة، وليس المثقفين منهم، فالثَّقافة لغة الحوار العالمي، الفنون والآداب لغات متنوِّعة، تنصهر جميعها في بوتقة توصيل الفكرة والتعبير عنها، إذن لا وجود للثقافات المعادية، الوجود للأفراد والجماعات المعادين، هؤلاء هم غير المثقفين، مع أنَّهم ينتمون إلى الثَّقافة.

وفي عصر العولمة كما هو متوقَّع ستسود ثقافة عالمية، تنشر السلام وتدعم أساليب ممارسة الدِّمقراطيَّة، ترفض التعصب وقد تقاومه بقوَّة، تبث تعاليم ومفاهيم ومعارف استيعابيَّة، تزيل الحدود بين الأنا والآخر، تهدف إلى الرخاء وقد لا تعممه، غاياتها تحقيق العدل وليس تحقيق المساواة، فالمساواة ليس من اهتمامات الفكر الرّأسمالي المتزعم تسويق العولمة للأمم والشُّعوب غير المنتمية بعد، المهم أن تكون رأسمالي الانتماء حتى ولو كنت فقيرًا، فالفقر ليس عيب، العيب عندهم أن لا تكون مؤمنًا بالفكر الرأسمالي، هذا ما هو متوقَّع. أمَّا بالمنظور غير المتوقَّع، فإنَّ الشُّعوب والأمم ذات الهويَّات الخاصَّة سترفض أن تطمس خصوصيَّاتها على حساب تعميم ثقافة القرية الواحدة، كيف تكون قرية واحدة ومواطنيها من ثقافات وأعراق ومعتقدات وأعراف مختلفة؟ وهل يمكن أن تقوم سيادة القرية الواحدة وتطمس هويِّات الآخرين بكل سهولة وإرادة؟

أقول: ستكون الإجابة وفقًا للممكن، من الممكن أن تتحقق بعض التعميمات، ومن غير الممكن أن يتحقق غيرها أو لا يتحقق، إذن عندما يترك الأمر للإرادة يصبح كل شيء ممكنًا، وإذا ترك الأمر لغيرها (للقوَّة)، قد لا يكون المتوقَّع ممكنًا؛ ولذا من غير المتوقَّع، أن يصبح المتوقَّع ممكنًا.

عندما تُبنى القرية الصغيرة، لا بد وأن يكون إليها أدب واحد، ولغة أولى، ودين أول، وقيم مشتركة، تستنبط من إطارها المرجعي، وهذه تحتاج إلى دهور لكي تتحقق، فالولايات المتحدة الأمريكيّة على سبيل المثال، يزيد عمرها عن 280 عامًا ولا زال للهنود الحمر خصوصيَّة، وللمكسيكان خصوصيَّة، وللسود خصوصيَّة، وللعرب الأمريكان خصوصيَّة، وللكوبيين الأمريكان خصوصيَّة، ولغيرهم من الأقليَّات الأمريكيّة خصوصيَّة، ولا ننسى مثال الاتحاد السوفييتي الذي سقط من منصة المنافسة الحرَّة دون أن يجد من يتأسف عليه، عندما سقط وانتهى عادت الشُّعوب الموحَّدة بالقوَّة إلى إحياء خصوصيّاتها، المسلمون عادوا إلى معتقدهم، واليهود والبوذيون وغيرهم من المجتمعات عادوا إلى معتقداتهم وقيمهم التي تشكِّل شخصياتهم وبما يمتازون.

وعليه نعم أن تسود ثقافة العولمة التي لا تجعلنا نسخة واحدة كأوراق السّحب، ونعم لثقافة العولمة التي تُقدّر خصوصيَّاتنا وتعتبرها، ونعم لثقافة العولمة التي تمدنا بالجديد كل لحظة من خلال شبكات المعلومات المتطوِّرة ووسائل الاتصال المتنوِّعة، ونعم لثقافة العولمة التي تهدف إلى تكسير القيود

المكبلة للإرادة الحرَّة، ونعم لثقافة العولمة التي تهدف إلى ارتفاع المستوى التعليمي والصحي للأفراد والجماعات بغض النظر عن معتقداتهم وأعرافهم، ونعم أن تسود ثقافة العولمة التي لا تقبل بالفرد الكامل، ولا تقبل باحتكار السُّلطة من أي كان، ونعم أن تسود ثقافة العولمة التي تود أن يكون بيننا وبين بيئتنا توادد، وتريدها بيئة خالية من التلوث والآفات من أجل حياة ومستقبل أفضل، ولا لغير المتوقَّع.

وعليه: الثَّقافة رفعة في الذَّوق، وحسن تصرف في الفعل والسُّلوك، تسعى إلى بناء الشخصيَّة المتفاعلة مع الآخرين، فتنقلها من مستوى الأنا إلى مستوى الموضوع، من مستوى التمركز على القبيلة والحزب والطبقة إلى مستوى التمركز على الفكرة التي تُقدّر الأنا والآخر، ومن مستوى الجهل إلى مستوى العلم والمعرفة الموضوعيَّة.

ولهذا فمجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة مجال تتطلع فيه الشخصيَّة إلى معرفة ما يجب عندما يسودها الوعي المعرفي، وتنسحب وتتراجع عندما لا يسودها، تسعى لأن تكون قدوة حسنة حتى وإن لم تتمكّن من ذلك، والثَّقافة ليست مجرد لغة حوار، بل أنَّها المنطق المفيد في الحوار؛ ولذا فإنَّ اللغة وحدها لا تحقق التفاعل والتفاهم والاتصال المستمر بين المتحاورين، فالذي يحقِّق ذلك بنجاح هو المنطق نتيجة علاقته بأساليب التفكير، فينبغي أن يتمكن المتحاورون من فهم الكيفيَّة التي يفكر بها الطرف الآخر، وكذلك فهم القيم التي تستمد من إطاره المرجعي، ثم إحساسه بتقدير

معطياته وملكاته الفكريَّة والمعرفية، وما يشكل له إطارًا مرجعيًّا يستوجب الاعتراف والتقدير؛ وإذا لم تعتمد الأطراف المتحاورة منطق للحوار لا يمكن أن تصل إلى نقاط التقارب والتفاهم المشتركة، وهذا حال الصراع الذي يدور بين العرب والإسرائيليين، أو بين المجتمعات الإسلاميَّة والمجتمعات الغربيَّة، الكل يعتمدون على اللغة في الحوار ولا يولون اهتمامًا بمنطقه، الكل فهم اللغة، وفي ذات الوقت الكل لم يفهم بعد منطق الحوار الذي تكمن فيه مبررات التفاهم والاستيعاب، نحن العرب نفكر في مشاكلنا مع المجتمع الغربي بمنطقنا الذي يخضع لروائنا الفكريَّة والثَّقافيَّة، وهم كذلك يفكرون في مشاكلهم مع العرب بمنطقهم الذي يخضع لرؤاهم الفكريَّة وثقافتهم. إنهم لم يفهموا بعد كيف نفكر، ونحن كذلك لم نفهم بعد كيف يفكرون؛ ولذلك كل طرف يعتبر نفسه على حق والآخر على باطل، إذا أردنا التفاهم والتعاون والتقارب علينا أن نعرف الآتي:

ـ التعرُّف على بعضنا بموضوعيَّة حتى يتمكن كل منا من تقدير الطرف الآخر.

ـ الاعتراف بأنَّ لكل طرف إطار مرجعي ذا أثر لا ينبغي غض النَّظر عنه أو تجاوزه.

ـ التعرُّف على أساليب التفكير فلكل طرف في الحوار مبرراته المنطقيَّة التي تجعله في حالة انحياز مسبق.

. اعتماد مبدأ التقبُّل الذي يقر بتقبل كل طرف كما هو لا كما يجب أن يكون عليه.

. تقدير الذَّات بمستوياتها الثَّقافيَّة التي هي عليها، ولا تغيير إلا بإرادة، فلغة الإكراه لا يقابلها إلا منطق الرَّفض.

ولذا فمجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة مجال امتدادي تمتد فيه القدرات والملكات العقليَّة الإنسانيَّة من حالة السكون إلى حالة الحركة الواعية التي تُمكّن الإنسان من التمييز والتفضيل وتمكنه من الممارسة السُّلوكية عندما تتطابق المفاهيم مع الأفعال المرغوبة التي تؤدِّي إلى ظهور الأنموذج وتبرز الاتجاهات المعرفية والأفكار الخاصَّة والعامَّة (المنغلقة والمنفتحة)، فتبرز الشخصيَّة على المستوى الاجتماعي أو على المستوى الإنساني؛ وعليه فإنَّ مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة يعتمد كثيرا على معرفة الأثر القيمي وأساليب تقديره عن طريق تطبيق خماسي تحليل القيم على موازين اختيارات المبحوثين للبدائل القيميَّة لكل علاقة من علائق هذا المجال الثقافي.

وعندما تقتصر قيم مجال العلائق الثَّقافيَّة على المستوي الشخصي فإنَّها تؤدِّي بالضرورة إلى بناء شخصيَّة الأنا، وعندما تمتد القيم لتحتوي مميزات الأمَّة(الدين والأعراف واللغة) فبالضرورة تؤدِّي إلى بناء الذَّات الاجتماعيَّة التي تكوّن العاطفة الاجتماعيَّة، وعندما تستوعب الآخر كما هو لا كما ينبغي أن يكون عليه فإنها ستؤدِّي إلى بناء الشخصيَّة الموضوعيَّة، ويحتوي الخماسي أيضًا على معيار قيمي يؤدّي إلى تكوين

ومعرفة الشخصيَّة الإنسحابيَّة (عندما تكون في حالة تراجع من مستوى الذَّات إلى مستوى الأنا)، ويؤدّي في الوقت ذاته إلى بناء ومعرفة الشخصيَّة المتطلّعة (التي تتمسك بالقيم العامَّة للمجتمع أو الأمَّة وتستوعب قيم الآخرين دون أن تتخلى عن قيم أمتها الموجبة).

يُمكّن مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة الشخصيَّة من تجاوز حدود الهويَّة إلى الاتصال بالآخر والتعرُّف على أساليب تفكيره ومنطق حواره، إنَّه مجال العبور الذي يتجاوز بالأفراد والجماعات والمجتمعات المحلية الحدود الوطنيَّة لأجل الدخول إلى القرية الصغيرة الممتلئة بالمعلومات والمعارف المكونة لمجتمع الفكرة بإرادة، وفي عصر ما قبل انتشار دائرة المعارف العالمية، كانت القيم الثَّقافيَّة في حالة انحسار داخل الحدود، أما في عصرها فستسود القيم الثَّقافيَّة الآتية:

- القيم الثَّقافة التوسعيّة.
- القيم الثَّقافيَّة الاستيعابيَّة.
- القيم الثَّقافيَّة العابرة.
- القيم الثَّقافيَّة المخترقة.

- القيم الثَّقافيَّة المهاجرة، وهي القيم التي كانت تهاجر إلى المدن أصبحت في عصر العولمة مهاجرة إلى الأرياف والقرى الصغيرة التي ارتبطت بشبكات الاتصال الموسعة مثلها مثل المدن. ولن يكون هناك سندا قيميًّا

تعود إليه المدن كما كان في العصور الماضية، فالمتغيرات الثَّقافيَّة على كفة ميزان واحدة وكأنَّها في أنابيب مستطرقة، الأوامر والنواهي تعم القرية الصغيرة بمضاعفة سرعة الصوت، حفلات الختان والزفاف ومنابر المعرفة ودخول الأسواق والعرض على الأطباء لمعرفة الحالة الصحية أصبح ميسرا من خلال شبكات المعلومات والاتصالات المتطوِّرة دون أن تدفع قيمة تذكرة سفر، أو تضيّع جزاء من وقتك.

أنَّه مجال الوعي المعرفي لِما ينبغي ولِما لا ينبغي، وهو المجال الذي يُمكّن الشخصيَّة من إدراك محيطها الاجتماعي، ويُمكّنها من تكوين علائق خُماسيّة على المستويات الآتية:

1 ـ المستوى القيمي الموضوعي:

هو الذي يرتقي بالفرد إلى مستوى التحضُّر الذي يُقدّر فيه الأنا والآخر، وفي هذا المستوى تترجم الثَّقافة إلى سلوك باعتبارها في حالة امتداد وحركة فكريَّة وعقيَّلة، حيث تمتد من مجتمع لآخر، ومن زمنٍ لآخر، مما يجعل المعلومات في حالة انسياب وتبادل لا قيود عليها، وما ارتباط النَّاس بشبكات المعلومات المتطوِّرة إلا دليل على الوعي بضرورة الانتقال إلى مستويات الحضارة العالمية المستوعبة لكل الخصوصيات الاجتماعيَّة؛ ولذا فمن الموضوعيَّة أن لا يُغفل عن خصوصيات الآخرين التي باستيعابها يتحقق التعاون، وتسود القيّم المفضّلة عند النَّاس بدلا من سيادة ثقافة على حساب أخرى.

إنَّ مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة دائمًا في حاجة للإثراء العلمي والمعرفي؛ وذلك لأنَّ فلسفة العلم والإثراء المعرفي هما دائمًا في حالة موضوعيَّة عندما يكونا من مصادر التعرُّف على الحقيقة كما هي لا كما ينبغي أن تكون.

وعندما تكون الأهداف مؤدّية إلى معرفة الحقيقة؛ فإنَّ ذلك لابد وأن يؤدّي إلى توسيع دائرة المعارف الموضوعيَّة على المستوى الإنساني لأجل التقدم إلى الأفضل المفيد. وبما أن العلم هو وسيلة الإثراء المعرفي، والبحث وسيلة الإثراء العلمي، فإنَّ التحصيل الواعي هو وسيلة للإثراء البحثي الذي يؤدّي إلى بناء الشخصيَّة الموضوعيَّة القادرة على استيعاب الجديد والقادرة على ترجمته إلى سلوك مفيد، ومن هنا تساهم الثَّقافة الموضوعيَّة بشكل مباشرٍ في رفع المستوى الصحي للأفراد؛ حيث تعزِّز لديهم معرفة القيم الوقائيَّة نفسيًّا وبدنيًّا وعقليًّا، وتُمكّنهم من إتباع القواعد العلميَّة المؤدِّية إلى رفع المستوى الصحي لديهم؛ وهذا ما يجعل علاقاتهم مع الطعام علاقات انتقائية، وليس علاقات كميّة، يركزون على النّوعية المفيدة للبدن والنَّفس في وقت واحد، ولا يولون اهتمامًا بالحشو المتعب للمعدة والأجهزة المصاحبة إليها. وعندما تتمتع الشخصيَّة بمزايا القيم السَّائدة في مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة تصبح شخصيَّة منظمة، تعرف أهميَّة الوقت وتحافظ عليه، ولا تقبل الاستهانة بالزّمن ولا العبث به؛ ولذلك دائمًا تُقدر أهميَّة الزّمن في صناعة الحياة والتطلع إلى المستقبل الأفضل، والإنسان في حاجة

للعمل وفي حاجة للراحة وفي حاجة للترفيه؛ ولأجل ذلك فإنَّ الشخصيَّة الموضوعيَّة تُقدّر أهميَّة هذا التنوَّع وتعتبره من الضروريات التي يجب أن تُراعى وتعتبر، وهذا الذي يجعل علاقاتها مع الرياضة علاقات وعي فلا تمارسها كغاية في ذاتها، بل تمارسها لتحقيق الغايات العظام التي تتحقق من وراء ممارستها، إنها الشخصيَّة التي تتماثل عندها ممارسة المناشط الترويحية مع واجبات العمل وواجبات الراحة.

2 . **المستوى القيمي التطلُّعي** (ذاتيَّة تميل إلى الموضوعيَّة):

هو مستوى الشخصيَّة المدركة لِما يجري من حولها، والمتطلّعة لِما هو أفضل، والمعتمدة على قدراتها العقليَّة في استيعاب المواضيع التي تمكّنها من التحليل وبلوغ النتائج المنطقيَّة، إنَّها الشخصيَّة الاستنتاجيَّة القادرة على الاستنباط المعرفي المجرد؛ حيث تلتجئ إلى التمييز بين المواضيع بمعطيات عقليَّة أكثر من التجائها إلى التفسير المادي المباشر نتيجة لتجاوزها مستويات الذَّاتيَّة الاجتماعيَّة، ولبلوغها مستويات ذاتيَّة تميل إلى الموضوعيَّة.

وتنتهج الأساليب العلميَّة في سلوكها المعرفي وتعتمد في أحكامها على المعايير التي تمكنها من التمييز المنطقي. إنَّها الشخصيَّة الطموحة المتطلّعة للأفضل والأجود، وترى أن التحصيل العلمي هو المؤدِّي إلى الوصول إلى ما هو أجود أو أفضل، فتبني كل طموحاتها على هذا المبرر القيمي. علاقاتها الصحية تبنى على التكامل الصحي الذي يؤدّي إلى الثِّقة

بالنَّفس، فتتأثر بكل ما تعتقد أنه مفيد، وتسعى إلى معرفة المزيد، تتعمد تنظيم علاقاتها مع الطعام بما يتمشى مع تنظيم قواعده الصحية. تتفق مع الشخصيَّة الموضوعيَّة في تقسيم الوقت بما يُفيد للعمل والراحة والترويح، وهذا يعني تطلعها لحياة أفضل، وهذا الذي جعلها تعتمد في حياتها قول (ولنفسك عليك حقّ)، إنَّها الشخصيَّة التي تمارس الرياضة لأجل التخلص من الضجر والسأم، فتستمتع كثيرا عند ممارستها إليها باعتبارها وسيلة من وسائل التنفيس الوجداني، وهذا الأمر يجعلها في حالة تكيّف مع الطبيعة، وتعتبر الطبيعة مصدرًا أساسيًّا لتحقيق التَّوزان النَّفسي، مما يجعلها في حالة نُقلة عقليَّة من حالة القصور على المشاهد إلى حالة التعرُّف على ما هو مجرد والتطلع إليه.

3. المستوى القيمي الذَّاتي:

هو مستوى الشخصيَّة التي توَدّ أن تَظهُرَ بالمظهر اللائق والمهذب لأجل المحافظة على شخصيتها التي تميزها عن غيرها من الشخصيَّات الأخرى، تحاول أن تُنقّي نفسها من الشوائب التي لا يرتضيها المجتمع المنتمية إليه لأجل أن تحافظ على ذاتها، تهتم بوحدتها أكثر من اهتمامها بالعلم، فالعلم بالنِّسبة إليها مسألة شكلية، ينبغي أن تتعلم ليقال عنها أنَّها من صفوف المتعلمين، فالعلم والتأهيل العلمي مساءل معنويَّة ليس إلا، والتحصيل العلمي وسيلة لزيادة المعلومات، وليس للتطلّع الحضاري الذي يقودها إلى مواقع متقدمة من العلم والثَّقافة؛ وذلك لاقتصار تفكيرها على

ذاتها وكأنَّها في حالة عزلة عن الآخرين، وتحاول أن تلم بالثَّقافة الصحية، ولكنَّها قد لا تسلك سلوكًا صحيًّا، فالثَّقافة الصحية لمجرد الإحاطة والإلمام المعرفي ليس إلا.

الشخصيَّة الذَّاتيَّة تحب إظهار ذاتها بما تفعل، وتستعرض بما تفعل إلى درجة المبالغة في تقديم الأشياء وبخاصة الطعام، مما يجعلها في خانة المستهلكين، تفعل ذلك لأجل أن تُوصف بالذَّاتيَّة، وقيمة الوقت عندها بما يحقِّقه من متعة واستجمام، فالراحة مهمة ولا داعي للتعب والكد المقلق للنفس، تمارس الرّياضة لأجل المنافسة المربحة ماديًّا، وليس لأجل ما تحتويه الرِّياضة من قيم صحيَّة، وتنظر إلى الطبيعة باندهاش وتعجّب، مما يجعلها في حالة تفرّج.

4 ـ المستوى القيمي الإنسحابي:

الانسحاب من ميادين المنافسة، ومن ميادين التعاون الموجب، نتيجة المستوى الثقافي المحدود، الذي تجد الشخصيَّة نفسها فيه، فهي لا تفصل بين الثَّقافة والتعليم، فتعتقد أن التعليم هو الثَّقافة، وتعتقد أن معرفة القراءة والكتابة كافية للشخصيَّة المثقَّفة، والمزاجيّة تلعب دورها في تكوين علائقها المعرفيّة والثَّقافيَّة، ولا تعتبر في التحصيل العلمي إلا وسيلة للحصول على العمل الوظيفي نتيجة الحاجة.

تتأثر الشخصيَّة الإنسحابيَّة نفسيًا كلَّما تعرّضت للحالات المرضيَّة، حتى ولو كانت بسيطة؛ حيث سيطرة الخوف عليها، إنَّها الشخصيَّة القلقة

والمضطربة، التي تفكر في المرض أكثر مما تفكر في الشفاء، وعلاقتها مع الطعام علاقة بدائية (أعيش لأكل)، وكأنَّ الغرض من الحياة هو الحصول على الأكل، مرور الزَّمن بالنِّسبة إليها مقلق؛ ذلك لِما يشكِّله من خطر على عمرها الزَّمني، ولا ترى في الرّياضة أيِّ أهميَّة إلا لشغل وقت الفراغ، وعلاقتها مع الطبيعة علاقة خضوع وخنوع.

5 ـ المستوى القيمي الأناني:

إنَّه المستوى المترتب على المعرفة البسيطة، وانعدام الثَّقافة التي تؤدِّي إلى الرفعة السُّلوكية، فالفرد الأناني لا يرى أهميَّة ولا ضرورة للثّقافة، فهي بالنِّسبة له لا تغني ولا تشبع من جوع، ولا يرى في العلم إلا مسبّبًا في الدمار والهلاك البشري، من خلال نظرته للوسائل التقنية المستخدمة في الصراعات والحروب بين البشر، إنّها الشخصيَّة التي لا ترى الوجه الحسن للعلوم وأهميتها في تقدم الحياة الإنسانيَّة، وترى أنّ التحصيل لا يعني شيء إلا أنّه للتظاهر السُّلوكي، فالمتعلمين بمختلف مستوياتهم الثَّقافيَّة وبمختلف قدراتهم التحصيليَّة لا فرق بينهم، جميعهم يهتمون بالمظاهر، ولهذا علائقهم مظهرية. إنها الشخصيَّة البسيطة التي لا تعي بالخطورة المترتبة على عدم الإلمام بالقواعد الصحية المفيدة للحياة، وتتغاضى عن كل ما يسبب القلق الصحي، وهذا ما يجعلها في حالة انطفاء في علائقها الصحية، وفي مقابل ذلك ذات علاقة واضحة وصريحة مع الطعام تأكل بشراهة وأحيان لدرجة الإفراط، وتُوصف هذه العلاقة بالمرضية. الزَّمن بالنِّسبة إليها لا يعني شيء،

فهي دائمًا في حالة انتظار، والزَّمن يمر اليوم مثلما مرّ بالأمس، والرّياضة مضيعة للوقت الذي يمر كهذا هدرًا.

يتكوّن مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة من سبعة علائق قيميَّة هي:

1 . علاقة الثَّقافة.

2 . علاقة العلم.

3 . علاقة التّحصيل.

4 . علاقة الصّحة.

5 . علاقة الطّعام.

6 . علاقة الزَّمن.

7 . علاقة الرّياضة.

النُّهوض مِنَ الاستظلامِ إلى الاستنارة

ولأنَّ الخدمة الاجتماعيَّة مهنة ناهضة فليس لها إلَّا العمل على العقول التي في حاجة للاستنارة؛ كونها مهنة المستنيرين معرفة ودراية؛ ومن هنا فالاستنارة لا تكون إلَّا من بعد استجلاء الاستظلام وبقاء النُّور مرشدًا، لمن شاء الاهتداء بنوره؛ ومن ثمَّ تزاح العتمة التي تحول بين نفاذ النوُّر ومن هم في حاجة نوه؛ حتى يسترشدون.

ومن هنا علينا أن نميِّز بين المفاهيم الثَّلاثة (الاستنارة– الاستظلام– الاستجلاء):

. مفهوم الاستنارة: أخذٌ مِن نُورٍ وليس مِن ضوءٍ.

. مفهوم الاستظلام: أخذٌ مِن ظُلمةٍ وليس مِن ظُلمٍ.

. مفهوم الاستجلاء: أخذُ من تجلٍّ وليس مِن إجلاءٍ.

ولهذا فإنَّ الضوء يزيح الظُّلمة من حوله، أمَّا النُّور قطعًا أينما حلَّ لا تحلّ الظُّلمة؛ وهكذا بالتمام يصبح الاستجلاء وضوحًا من بعد نور، وفي المقابل يوجد الاستظلام عندما يغيب الاستضواء، ولذا فنحن بحثًا نميّز بين المفاهيم المتضادة (الظَّلام مقابل الضوء) أمَّا (الاستظلام فمقابل الاستضواء).

وبناء على ذلك لا يمكن أن يكون مفهوم الاستضواء هو بالتمام مفهوم الضّوء؛ ذلك أنَّ الضّوء يدل على وجود مصدر للإضاءة، أمَّا

الاستضواء فيدلُّ على الانشراح والتجلّي في ذات الشيء سواء أكان قمرًا أم زيتًا أم شخصًا.

ومع أنَّ الاستنارة استمداد النُّور من مصادر نوره، فإنَّها لا تكون إلَّا عن علمٍ أو دراية، ومع ذلك العلم ليس بالدِّراية؛ فالعلم لا يكون إلَّا من عليمٍ أو عالمٍ، أمَّا الدِّراية فلا تكون إلَّا من دارٍ ومدرٍ، ومن هنا علينا أن نفرّقِ بين مفهوم الدَّاري، ومفهوم المدري.

ـ الدَّاري: مصدر الدِّراية؛ إذ لا شيء يُدرى به إلَّا من عنده.

ـ المدري: الذي ألم بالدِّراية.

المدرى: الذي تمت درايته من الدَّاري.

المدرى به: النبأ أو الرِّسالة أو العلم أو الحكمة أو الأمر (أيُّ أمر).

ومن ثمَّ يكون مفهوم درى: بمعنى المَّ، ومفهوم يدري: مُلم، أمَّا مفهوم الدّراية، فهي: الالمام بالشيء وما يتعلَّق به من أمرٍ؛ قال تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ}[7]، والنُّور هنا ليس نور قمر أو نور زيت أو شيء من ذلك، بل النُّور هنا هو محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، أمَّا الكتاب المبين فهو القرآن.

ولأنَّ محمَّدًا نورٌ من الله؛ فإنَّه لا هداية خاتمة ألَّا به وبنوره والكتاب المبين، ولهذا فنور محمَّد: يسري في العقل نورًا، وفي القلب نورًا، وفي النَّفس

[7] المائدة 15.

نورًا، وفي الروح نورًا؛ ذلك لأنَّ نور محمَّد مستمدّ من نور الله: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[8].

ولأنَّه لا نور إلَّا من الله؛ إذن فمن يستمدّ نوره من الله فنوره لا يطفئ: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}[9]، ومع أنَّ بعض الأضواء بالأفواه نفخًا تطفئ فإنَّ النُّور لا تطفأه الأفواه وإن نفخت؛ ومع ذلك فإنَّ المقصود بالنوّر في هذه الآية الكريمة هو نور الحقّ المبين، أي: يريدون أن يبطلوا قول الله وهو الحق الباقي الذي لا يمكن للباطل أن يبطله؛ ولذا فمن يستنير صدره بالحق المنزَّل فلا يكون على الاستنارة إلَّا وصدره مشروح بالإسلام: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[10].

وعليه فإنَّ الفارق كبير بين مفهوم الاستنارة، التي لا تكون إلَّا عن استجلاءٌ بيّنة ورؤية؛ حيث لا استظلام، وبين مفهوم الإنارة التي لا تكون إلَّا في وسط ظلمة؛ ومن هنا فالآيات السَّابقة لا تتحدّث عن الظلمة

---

[8] النور 35.

[9] التوبة 32.

[10] الزمر 22.

ومعكوس مفهومها ضوء، بل تتكلَّم عن النُّور الذي به تستنير العقول والقلوب والأنفس.

ومن ثمَّ فإنَّ مفهوم الاستظلام ليس بمفهوم الظُّلمة؛ ذلك أنَّ الاستظلام لا يعني إلَّا انعدام المعرفة الواعية، التي كما تمكّن من التمييز فهي تمكّن من الاتباع أقدامًا أو إحجامًا.

إذن فمفهوم الاستظلام يعني مما يعنيه عدم الوضوح، ولهذا فعدم الوضوح يتطلّب استنارة، سواء أكانت الاستنارة بحجّةٍ أم برهانٍ أم بدليلٍ، أمَّا الظلمة فلا تزول إلَّا بضوءٍ؛ ولذا فحال الاستظلام كحال من تاه في الصَّحراء نهارًا وقد دار رأسه، فلم يستطع أن يميّز بين الاتجاهات وكأنَّ الشّمال ليس بالشّمال، ولا الجنوب بالجنوب، وهكذا استظلم الأمر عليه فلا يستطع أن يميز بين اتجاهي الشّرق والغرب.

ومن ثمَّ نقول: إنَّ الاستظلام حيرة عقليّة ترهق عقول المفكرين حتى تقتنص عقولهم حلًّا يخرجهم من التأزُّمات، التي من بعدها سيرون الحقيقة ماثلة أمامهم وعيًا واستنارة.

ولأنَّ الاستنارةُ لا تكون إلَّا عن وعيٍ ودرايةٍ؛ فهي ترشد إلى ما يجب اتباعه، وترشد أيضًا إلى ما لا يجب اتباعه؛ ومن هنا فالواعون لا يقدمون على مخالفة منظومة القيم التزمًا بقيدها خُلُقًا، وفي المقابل عقول غيرهم ممن هم دونهم قيمًا لا تخشى قيد القيم، بل تقدم على كسره دون أن تنتظر وقتًا؛ وبذلك أحوالهم تتأزَّم، وعقولهم وأنفسهم تستظلمُ.

ومع أنَّ الاستظلام حيرةُ عقل، وعدم وضوح رؤية؛ فإنَّ الاستظلام ليس بتظلُّمٍ؛ ذلك لأنَّ التظُّلم اشتكاء بغاية طلب الإنصاف وسيادة العدالة، وفي المقابل الاستظلام التماس عذرٍ في زمن انعدام المعرفة الوافية.

إذن: الاستنارة بالشّيء استدلال به واسترشاد، وفي المقابل الدِّراية إلمام تام بما يجب أن يكون ظاهرًا للمشاهدة أو مختبئًا للملاحظة؛ ولهذا فالدّراية حُجَّة بيِّنة (يقين)، أمَّا الاستنارة تبيُّن بالبيِّنة (عن يقين).

وعليه فمفهوم الدِّراية يدلُّ على الإلمام التام ولا شيء مجهول، وفي المقابل مفهوم العلم يدل على المعرفة النسبيَّة، أمَّا الاستنارة فهي نتاج النسيج علمًا ودرايةً؛ ولهذا فمعارف المستنير وعلمة أوسع من معارف المتعلّم وعلمه؛ ومن هنا فالمستنير هو من المَّ بعلم الدِّراية حتى تغيَّرت أحواله وفقًا لما هو متوقّع وغير متوقّع؛ ذلك لأنَّه أصبح يدري بكلّ ما ألمَّ به، أمَّا المتعلّم فمهما تعلّم فلن يدري إلَّا تخصُّصًا في دائرة المتوقّع؛ أي إنَّ العلم والتعليم لا يخرج عن دائرة المقررات المنهجيَّة، أمَّا الدِّراية فلا تقف عند حدّ العلوم الممنهجة، بل تتجاوزه إلى كل ما من شأنه أن ينير العقول والأنفس؛ ومن هنا أيضًا فإنَّ المدري على مقدرة لإنارة عقول الغير كما هو حال الأنبياء الكرام الذين دروا وأدروا.

إذن: العلم سيكون معرّضًا إلى النسيان والتبدّل، أمَّا الدّراية فلا نسيان؛ وذلك أنَّ العلم يلامس العقل، أمَّا الدِّراية فتلامس العقل والفكر

معًا؛ ولهذا متى ما تمكّن الإنسان من الدِّراية تغيّرت نفسه وتغيَّرت أحواله، وفي المقابل المتعلّم يمكن أن تتغيَّر أحوله ولكنَّ نفسه قد لا تتغيَّر.

ولمزيدٍ من التوضيح أقول:

. العلم لا يزيد عن كونه ملاحقة بين معلومٍ حاضر ومعلومٍ مفترض، أمَّا الدِّراية فتلاحق المعلوم والمجهول بالمرتقب يقينًا؛ أي في الوقت الذي يلاحق العلم فيه الجهل ليحل محلّه، تلاحق الدِّراية فيه الأميَّة لتحل محلّها.

ولهذا فعندما تظل الشُّعوب منتظرة لاستيعاب الثّقافة بغاية كسر قيدها، فإنّها ستكون في حاجة لمزيدٍ من الوقت؛ وفي المقابل عندما تعي الشُّعوب الحقيقة تُصبحُ قادرة على تجاوز الواقع وإحداث النُّقلة؛ ومن ثمَّ فزمن الانتظار لن يجد مكانًا له ليحل فيه أمام الدّراية التي بتجاوزها لزمن الأميَّة تتجاوز زمن الثّقافة والوعي؛ فالدّراية تجاوز معرفي لكلِّ ما من شأنّه أن يوصف أميَّة، وهي التي تحدثُ النُّقلة من معرفة الممكن ولو كان صعبًا إلى معرفة المعجز والمستحيل.

ولذا فالمستنيرين متى ما كشفوا حقيقة حُكَّامه على المفاسد، ثاروا على زمنهم بلا رأفة، وطووا صفحاتهم وعيًا واستنارة، ومع أنَّ الثقافة استنارة عقلٍ، فإنّها أمام العقل قيدٌ على ما ينبغي اختياره والإقدام عليه، وما لا ينبغي اختياره والإحجام عنه؛ ومن هنا فعندما تغيب الدّراية يصبح زمن الانتظار معطية من معطيات الأميَّة التي لا تملَّ من الانتظار وإن طال زمنه، ولهذا فالزّمن قادرٌ على قيد الأميّة وتجاوزها وعيًا، أمَّا الأميَّة فلا إمكانيّة لها

بذلك؛ ذلك لأنَّ أهل الأميّة غير قادرين على إحداث النُّقلة وصُنع المستقبل أملًا ومأمولًا.

ولأنَّ الوعي استنارة لا يقيده الزَّمن فهو العقل ولا قيد عليه، وفيه يتساوى الأمي معرفة مع من يدري ويتدبَّرَ؛ أي: يتساوى الأمي فيه مع من تعلّم وتثقَّف ودرى؛ قال تعالى: {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}[11]، في هذه الآية الكريمة ارتبطت الأذن مع الوعي ولم تستقلّ عنه، وهنا فهي الأذن المميّزة لما تسمعه أو تنصت إليه؛ إنَّها المميزة بين المسموع معرفةً والمتجاوزة له؛ كونها الأذن الواعية التي لا تأخذ بالمسموع إلَّا دراية.

ولأنَّ الوعي يُمكّن من معرفة الحقيقة المراد البحث عنها، فإنَّه المؤدّي إلى الفطنة الممكِّنة من التمييز واتخاذ القرار المناسب حتى وإن كان صاحبهُ أميًّا، فالحقيقة كما يلمّ بها الأمي ويعرفها يلمّ بها كلًّا من المتعلّم والمثقّف ويعرفانها، وبخاصّة في الزَّمن الذي لا شيء فيه يُخفى؛ إذ كلّ شيء على البلاطة.

والوعي لا يقتصر على المتعلّمين والمثقّفين، بل الأميون لهم من الفطنة ما لهم؛ ذلك لأنَّ الوعي والفطنة لا يقتصران على من تَعلّم، فمع أنَّ المتعلمين تحصَّلوا على رخص قيادة (شهادات ومؤهلات جامعيّة وعليا) فإنَّ بعضهم لا يستطع أن يقود ما رُخِّص له قيادة وسط الازدحام.

[11] الحاقة: 12.

ولهذا فالوعي ليس دائمًا مولود تعليمٍ، فمن المتعلّمين مَنْ لا ثقافة لهم ولا وعي ولا دراية، وفي المقابل من الأميين ما لهم من الحكمة والمعرفة ما لهم، ومع أنَّ كيفيَّة البحث والتقصي عن الحقيقة في المدارس والجامعات منهجيًّا تُعلّم، فإنَّ الحقيقة عبر التَّاريخ تروى وتسمعها أذنٌ واعية.

ومع أنَّ الأذن الواعية تسمع فتتعظ وتتدبّر، فإنَّ الأذن غير الواعية وإن سمعت فإنَّها لا تتعظ ولا تتدبّر؛ ولهذا جاء قوله تعالى (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ)، ففي هذه الآية الكريمة جاء الوعي مرتبطًا بالسّمع ولم يأتِ مرتبطًا بالأذن السَّامعة؛ إذ جاء ارتباط الأمر بالسّمع وليس بالأذن؛ ذلك لأنَّ الوعي مقدرة على التمييز بين ما يجب وما لا يجب أخذًا وانتهاءً.

ومع أنَّ الأذن في دائرة الممكن تسمع ما يقال أو تستمع إليه، فإنَّ الأذن الواعية لا تأخذ بكل ما تسمعه، فهي وإن سمعت قادرة على الغربلة والتفحّص والتمييز؛ ولذا فبمعرفة الحقيقة يستوي وعي الأمّي مع وعي من تعلَّم وتثقّف ودرى؛ ومَن غفل منهم بأيّ علّة فقد استوى في غفلةٍ مع غيره؛ ومن هنا فالعقل قيد أمّيّة ودراية.

ولذا فالعقلُ دراية هو تلك الحيويّة المستنيرة وعيًا، وهو الذي يعلم بالشيء بعد أن كان لا شيء وكان مجهولًا، كما أنَّه يعلم الحكمة التي تُخفي من ورائها سرًّا.

والعقل دراية ليس ذلك العقل الممنهج برؤية تعليميَّة وثقافيَّة، بل هو ذلك العقل المتجاوز لدائرة الممكن تحدٍّ وخوارق، إنَّه العقل الممكَّن من

دخول دائرة المعجز؛ ومن هنا فالأنبياء والذين يلمُّون بالمنزّل ويؤمنون به هم أصحاب العقول الدَّارية.

ومع أنَّ الدِّراية عمليَّة عقليَّة فإنَّ مَن تمكَّن منها تمكَّن من طي صفحات الأميَّة إلى الأبد، ومع أنَّ الدّراية لا تُعلّم فإنَّ علومها تُعلَّم؛ فذلك النبي الأمي محمَّد –عليه الصَّلاة والسَّلام– بعد أن أعلمه الله بالمعجزات أصبح نبيًّا يعلم ما لم يعلمه غيره، ومن هنا أصبح محمّدًا نبيًّا ومعلّمًا يعلم ويعلِّم غيره ما أُنبأ به إنباءً.

ومن ثمَّ فالذي لا يعلم بالشّيء لن يكون له من الشّيء شيئًا به يدري؛ ولهذا فلا علاقة بين الأمّيِّ وعدم معرفة القراءة والكتابة، فهذه العلاقة لا تكون إلَّا بين الجهل والتعلُّم، أو بين التيه والمعرفة، أمَّا الأميّة فليس لها علاقة إلّا بعدم الدِّراية؛ ولذلك فالنَّبيُّ الأميّ هو الذي أُنبأَ بما لا يدري حتى أصبح نبيًّا يدري، وهذه معجزة وقد وُهبت لمحمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام.

وعليه: إنَّ الأميّة حالة غير دائمة وهي قابلة للمحو من عقول الجميع في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، فمن يكن أميًّا يمكن أن يصبح في دائرة الممكنِ عالـمًا فلا استغراب؛ وإذا كان بالعلم تستنير العقول وتطمئن الأنفس والقلوب، إذن: فما بالك باستنارة النبأ اليقين الذي نسخ أميَّة محمَّد بعد أن أمره الله بقوله: (اقرأ) فقرأ باسم الله ما لم يكن يقرأ ويعلم؟!

ومن هنا: فالإنسان الذي يعرف ليس بالضرورة أنَّه يدري، فعلى سبيل المثال: الأميون مع أنَّهم يعرفون ما يعرفونه من شئون وأمور فإنَّهم لا يدرون بقوانينها، ولا يدرون بالأسرار التي تختفي وراءها، وهكذا العلم لا يكون إلَّا في مواجهة الجهل مما يجعل المتعلّمين يعلمون ما يعلمونه ولكنَّهم مهما علموا فهم لا يبلغون علم الدّراية الذي وحده يُمكِّن من معرفة الحكمة وما تخفي مِن ورائها مِن سرٍّ.

ولذا فالنّبي محمَّد قبل الرِّسالة لا دراية له بها (أمّي)، ومِن بعدها أصبح يدري (نبيّ)؛ ومن ثمَّ فمفهوم الدّراية يدلُّ على: (الإلمام بعلم اليقين؛ حيث لا شيء يخفى، ولهذا فالأميّة قيدٌ وهي أعظم أثرًا من الجهل.

وعليه: فإنَّ علم الدّراية لا يأتي إلَّا من خارج العقل؛ ومن ثمَّ لا يمكن أن يكون من بناة أفكاره، فعلى سبيل المثال: أمر الوحي الموحى لا يأتي إلَّا من خارج العقل (من السّماء إلى الأرض)؛ ولأنَّه يأتي من خارج العقل إليه من السَّماء فلا أحد يعلم أو يعرف أو يدري شيئًا من ذلك؛ ولهذا فالكل أميٌّ بأمر السّماء، وما محمَّد إلَّا واحدٌ من الأميّين بأمرها إلى أن أعلمه الله، وأنبأه بالأمر: (كن)، فكان محمَّدٌ قارئًا بالأمر: (اقرأ) فقرأ.

ولأنَّ محمَّدًا لم يعد أميًّا بأسباب امتلاكه الدِّراية بعد أن قرأ دون سابق قراءة، فيجوز له حقّ النهي عن المنكر وتحليل الطيبات وتحريم الخبائث؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ}؛ ولذا عندما كان محمَّدٌ أميًّا لم يُعط له هذا الحقّ، أو هذا

التفويض، أو هذه الصلاحيَّات كما تسمى لدى البعض تحت مظلة لغة العصر، وإلا هل يُقبل أن يكون أمر التصرّف بأمر الطَّاعة بيد من لا يعلم الأمر ومعجزاته؟ وهل يُقبل التحليل والتحريم والنّهي ممن لا يعلم بما يأمر أو ينهى أو يُحَلِّل أو يُحرِّمُ؟

هنا أقول: بالطّبع، لا.

فمحمَّد -صلّى الله عليه وسلّم- بعد أن قرأ بأمرٍ من الله -تعالى- فهو القارئ وليس الأميّ، أي: إنَّ محمَّدًا قد كسر قيد الأميَّة؛ ولهذا لم يعد حاله كما كان قبل الرِّسالة، وعليه: الكلام أو التحدّث عن محمَّد قبل الرِّسالة كلامٌ أو حديثٌ عن أميّ، والكلام أو التحدث عن محمَّد بعد الرِّسالة -صلى الله عليه وسلم- حديث أو كلام عن رسول يعلم؛ ولذلك علينا أن نُفرِّق بين الحديثين والشّخصيّتين (شخصيّة محمَّد الأميّ، وشخصيّة محمَّد الرَّسول النبي الذي أصبح يَعلم) وإلّا هل يُقبل أن يوصف النبي الكريم بالأميّ، ويوصف الذين آمنوا وتعلموا على يديه بالعلماء والحكماء؟!!

وكيف يُقبل أن يكون محمَّدٌ هو صاحب الرِّسالة الخاتمة للنّاس كافَّة ويقبل أن يوصف بالأميّ؟

وكيف لا نكتشف التناقض في الأمرين:

الأمر الأوَّل: أمرُ محمَّد الأميّ.

الأمر الثَّاني: أمر الذين تعلموا مما علّمهم به حتى أصبحوا علماء وحكماء؟

وعليه: هل يقبل أن يكون للرّسالة مرجعيّة ورسولها أميّ؟

ولأنَّ محمَّدًا -عليه الصَّلاة والسَّلام- رسول للنَّاس كافَّة؛ مصداقًا لقوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاس إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأميّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[12] أي: إنَّ محمَّدًا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يكن رسولًا خاصًّا بالعرب، بل هو الرَّسُول الخاتم وللكافَّة: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاس إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كافَّة لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لَا يَعْلَمُونَ}[13].

إذن: كيف يُقبل أن يكون رسول الكافَّة أميًّا والنَّاس على يديه علماء وحكماء ويعلمون؟!

أقول: رسول الكافَّة ليس بأميّ، بل هو بما أُعلِمَ عَلَّم وبشَّر وأنذر وحرَّض وحلل وحرّم وأمر ونهى، وهو قبل الرِّسالة محمَّد الأميّ، وبعدها محمَّد رسول ونبي؛ ولذا فالفرق كبير بين محمَّد الأميّ الذي لا صلاة ولا تسليم عليه في زمنها، ومحمَّد الرَّسول النبي الذي يصلّي الله وملائكته عليه،

---

12 الأعراف: 158.

13 سبأ: 28.

ومن بعده يصلي عليه ويسلم المؤمنون الذين أسلموا وجوههم لله ربّ العالمين؛ قال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[14]. الأميّون في هذه الآية الكريمة لا تعني الذين لا يقرءون ولا يكتبون، بل تدلُّ على أنَّ الأميّة هي: (في دائرة النسبيَّة)، وإلَّا هل هناك من يصدّق أنَّ العرب جميعهم كانوا لا يقرؤون ولا يكتبون وكأنّهم قوم جهالة بالمطلق؟ هذا القول لا يستقيم إلّا بعدم علمهم بالقرآن قبل نزوله على رسولهم الكريم صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا مع أنَّهم حقًّا أميّون إلّا أنَّ البعض منهم يقرؤون ويكتبون؛ ولذا فهم بالنسبة إلى الدين الجديد جميعهم أميّون، وأنَّ أوَّل من أُعلِمَ دراية هو رسولهم النبي محمَّد صلوات الله وسلامه عليه، الذي كان أميًّا قبل نزول القرآن، ولأنَّه أوَّل من أُعلم كان مكلّفًا بتلاوة القرآن عليهم وبتزكيتهم، وبتعليمهم الكتاب والحكمة بوصفهم كانوا أميّين بما أُنزل؛ ولأنَّه كذلك فكيف يحقّ لنا أن نصفه أميًّا؟

وعليه: فإنَّ الكلمة التي بها كُسِرَ وهمُ الأميّة (اقرأ) لا يمكن أن يكون صاحبها من بعدها أميًّا.

ولتوضيح الفارق في المفاهيم أقول:

إنَّ الجهل لا يعني عدم المعرفة، بل يعني أن جزءًا كبيرًا من المعرفة غائبٌ؛ فالذي يعلم بمحمَّدٍ رسولًا، ولا يعلم عن رسالته إلَّا قولًا مسموعًا

---

14 الجمعة: 2.

يعد جاهلًا، وليس بأميٍّ؛ ذلك لأنَّ الجاهل هو من تحوطه العلوم والمعارف والأنباء ولا يسعى إلى معرفتها.

أمَّا أهل الأميَّة كونهم لا يدرون بوجود ما يحوطهم فلا ينتبهون إليه ولا يسعون إلى معرفته؛ ولذا فهم على أميَّتهم لا يدرون؛ ومن ثَمَّ فهم أميّون بما يحوطهم وكذلك بما لم يولد بعد أو يخلق، ومن هنا نحن نجهل أمر ما خُلق ما دمنا لم نتعرَّف عليه بعد، وبعضنا جاهلٌ بما يعلمه البعض وسيظل الجاهلُ جاهلًا حتى يعلم ما عَلِمهُ غيره.

وهنا فالجهل لا يعني غياب المعلومة، بل يعني عدم البحث عنها والسّعي إليها، أمَّا الأميَّة فلا وجود للمعلومة على الأرض حتى نسعى إليها بحثًا واستنارة.

ومع أنَّ الاستنارة تفتح آفاقًا واسعة أمام المدركات العقليّة وعيًا ومعرفةً واستقامةً، فإنَّها تضع قيودًا على السُّلوكيَّات والأفعال التي كانت مِن قَبلها تُفعل وتُسلك بكل حريّة وإرادة.

ولأنَّ الأميّ تحوطه الأميَّة من كلِّ جانب فلا يرى شيئًا سواها، ومَن تحوطه الاستنارةً قيدًا فلا يرى الأيَّام والأعوام من بعدها إلَّا استقامة.

ومع أنَّ العقل الأميّ لا يُمكِنه أنْ يَرى ما يراه عقل المستنيرِ؛ فإنَّه في غيبوبة الأميَّة لا يُسأل عمَّا لا يدري كما يُسأل من يدري في صحوة واستنارة؛ ذلك لأنَّ الإنسان المستنير عقله متقصٍّ ومتفحّص للمعلومة

بالمعلومة؛ ومن ثمَّ يستطيع أن يكتشف سرًّا كان يجهله، ثمَّ يستطيع أن يصحح ويقوّم المعلومة الخاطئة بالمعلومة الصَّحيحة والصَّائبة.

وعليه: فإنَّ العقل المستنير قادرٌ على التبيّن والتمكُّن من المعرفة الواعية التي تجعله قادرًا على معرفة الحقيقة، التي من بعد معرفتها يتقيّد استنارة بما يجب أخذه أمرًا ونهيًا.

ومن ثمَّ علينا أن نميِّز بين العقل الأمّي الذي قيّدته الأميّة عن غير دراية، والعقل المستنير الذي قيدته المعرفة وعيًا ودراية؛ فالعقل الأوَّل تقيّده حياة الفطرة أميَّة وشهوة، والعقل الثّاني تقيّده حياة المعارف (حيطة وحذرًا).

ولأنَّ الاستنارة قيدٌ، فإنَّ المستنيرين كما يتجنَّبون ما يؤلم أنفسهم يتجنبون ما يؤلم الغير؛ وبهذا فهم يميّزون بين ما يجب الأقدام عليه أو أخذه وما يجب تجنّبه والابتعاد عنه، وهم أيضًا بقراءتهم لعلوم المستقبل المتوقّع يرسمون السّياسات والخطط، ويعملون على إنجازها مع إصرارهم على إزالة ما يعيق سبيلهم من قيود تجاه الغايات المرجوة والمأمول نيلها.

ولأنَّ الاستنارة صحوةُ بصيرةٍ فهي لا تُبلغ إلَّا من بعد أنْ يُكسر قيد الأميّة درايةً، ومع أنَّ المستنير هو من كشف قيود الأميَّة وعمل على كسرها، فإنَّه بذات الاستنارة يُقيَّد؛ ذلك لأنَّ المستنير هو مَن بلغ مراتب المعرفة قمّة وبها تمكّن من قول: (نعم) لما يجب أن يقال له، وقول: (لا) لما ينبغي أن يقال له، وهذه لا تقال إلَّا عن مسئوليَّة؛ ولهذا فالمسئوليّة قيد

على مَنْ حملها وتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام؛ ذلك لأنَّ أقوال الإنسان المستنير وأفعاله وسلوكيَّاته يفترض أن تكون للغير مثالًا وقدوة؛ ولهذا فإنَّ أخلاق المستنير قيدٌ عليه أمام نفسه والغير.

ومع أنَّ العقلَ حيويَّةٌ إدراكيَّة تُمكّن من المعرفة والتمييز الممكّن من الاختيار إرادةً، فإنَّه قيدًا ضابطًا للفكر والسُّلوك وفقًا للمعايير الأخلاقيَّة والقيميَّة وما تسنّه الأعراف والأديان والدّساتير والقوانين المنبثقة منها.

ولتلك الحيويَّة مستويات بشريَّة وإنسانيَّة؛ فهي على المستوى البشري لا تزيد عن كونها فطريَّة، أمَّا على المستوى الإنساني فتمتد إلى أن تصبح في دائرة الاكتساب أخلاقيَّة.

وعلى المستوى البشري خُلق الإنسان في أحسن تقويم، وعلى المستوى الإنساني كانت القيم عند البعض قمّة، وفي المقابل كانت عند البعض قاعًا.

وبين هذا وذاك كان الاختلاف على المستوى البشري تنوّعًا مغريًا للاختيار وفقًا للرَّأي والرّؤية والرّغبة، وفي المقابل كان الخلاف بين البعض صدامًا واقتتالًا وأفعالًا مُرعبة؛ ولهذا أصبح العقل في حيرةٍ من أمره: هل يطلق العنان لجموحه البشري، أم يمسك لجامه إنسانيّةً.

ومن هنا تصدّرت ملكة التفكير ذلك المشهد، ومع أنَّها المتصدِّرة لذلك المشهد العقلي حيويّةً، فإنَّها تترك للنفس ما في غاياتها؛ تقديرًا للرّغبة

والذّوق، فتجعلها بين خيارات متعدّدة لتختار ما تشاء، ووفقًا لاختياراتها تتحمّل المسئوليَّة وما يترتّب عليها من أعباء جسام (ثوابًا وعقابًا).

ومع أنَّ العقل ملكة التفكير للنّفسِ، فإنَّه لا يلزمها بما لا تشتهي، أو ما لا تحب ولا ترغب؛ فالعقل بلا إكراه مصدر الخيارات سالبها وموجبها، والنّفس بين هذا وذاك تختار؛ ومن هنا فاختيارات النَّفس ورغباتها تتنوّع، وصفاتها تمتدُّ لينة وشدّةً.

ولأنَّ النَّفس مليئة بالأمزجة والشَّهوات، فإنَّ أنا النّفس في كثير من الأحيان يتحفّز ظهورًا على حساب الغير؛ ومن هنا في ساعة ولادة أقوال الإكراه وأفعاله يتواجه الإكراه والقمعِ مع الرّفض والثورة.

ومع أنَّ النَّفس هي التي يتمّ قيدها، فإنَّها ذات أثرٍ على العقل، فهي عندما تقيّد إرادتها تلتجئ إلى العقل ليجدَ لها مخرجًا؛ فإنْ خَلُصَ معها أعطاها خيارات متعدّدة تمكّنها من فكّ القيد أو كسره، وإن لم يَخلُص معها فقد يزيدُها على قيدها قيدًا.

ومع أنَّ رغبات النَّفس وشهواتها كثيرة، فإنَّ خَلقها البشريّ فطرة لا يمنحها رغبةً في القيودِ، وفي المقابل أنَّ خُلقها الإنسانيّ لا يعطها حريَّةً إلَّا والقيود خيارات من خياراتها.

ولذا فإنِ اطمأنت النّفس لشيء أخذت به، وإنْ لم تطمئن إليه اجتنبته وعنه ابتعدت؛ ومع ذلك لن تأخذ به أو تبتعد عنه إلَّا وخيارات العقل

أمامها؛ ولهذا فإن أخذت بما أجازه العقل لها كانت اختياراتها صائبة، وفي المقابل إن اختارت ما لم يُقرّه العقل لها فقد هربت من قيوده إرادة، مع العلم أنَّ إرادتها هذه قد تكون مخالفة لتلك القيود (القيم، والأعراف، والأديان، أو ما يستمدّ منها بغاية ضبط العلاقات والسُّلوك الإنساني).

وعليه: بما أنَّ النَّفس الإنسانيَّة بين حريَّة بلا ضوابط إنسانيَّة وضوابط العقل الإنساني وقيوده، فإنَّها لا تكون إرادة إلَّا بين قيدٍ وانفلاتٍ.

ولأنَّ القيد ضدّ الانفلات، إذن: ليس دائمًا القيد بلا محاسن، أي: إذا لم تقيّد نفسك إنسانيًّا (قيمًا ودينًا وعرفًا) فلا تستغرب إن تعرّضت لقيدٍ وأنت مُكرهًا، أي: لا تستغرب إنْ زُجَّ بك في السّجون مذنبًا في حقّ نفسك التي لم تحترم وتقدّر ما يحترمه ويقدّره العقل الإنساني خُلقًا.

ومن هنا أقول: لو لم تكن الفكرة قيدًا ما كانت الأيدي صانعة لحلقاتها؛ فالإنسان عندما لا يستطيع ضبط نفسه عن إرادة يجد نفسه يفكّر والحيرة تملؤه حتى يجد قيدًا لضبطه، وبعد أن يُقيّد بما أوجده من قيد، يبدأ في البحث عن كيفيّة فكّه وبكلّ ما يتيسّر له من حيلٍ.

ولذا فمن يريد أن يكون إنسانًا في أحسن تقويم فعليه أن يتمسّك بعقله الذي به يتميّز عن غيره، وإذا أراد الحرّيّة فعليه أن يقبل التنازل عن عقله؛ كي يستطيع في دائرة الممكن أن يفعل ما يشاء متى ما يريد، ولكنَّه نهاية سيعرف أنَّ للحرّيّة ثمنًا، وهكذا إذا أراد الاثنين معًا؛ فعليه أن يقبل بحياة المساجين الأحرار.

فنحن بني آدم لولا العقل وما نفكّر فيه ما عرفنا المرغوب والممنوع، ولا الوهم والموهوم به، ولا المحلّل والمحرّم، ولولا العقل والفكرة ما استعملنا كلمتي: (قفْ وسرْ)، ولا كلمتي: (لا، ونعم)، ومن ثمّ فإنْ لم يقيّد الإنسان نفسه أخلاقًا إنسانيَّة، سيجد نفسه مقيّدًا من قِبل الغير بفكرة القيد التي أنتجها عقله.

ومع أنَّ السّجن هو السّجن قيد؛ فإنَّ الإنسان إن فكَّر في نفسه عقلًا وقيدًا؛ أصبح على الأقل يمتلك الإرادة، ولكن إن وُضع القيد في يديه كرهًا؛ فهل يُمكن له أن يكون على شيءٍ من الإرادةِ؟

وإذا سلّمنا أنَّ العقل هو الذي يقيِّد نفسه، ألا نسلّم بأنّه قادر على فكّ قيده عن نفسه ارتقاءً؟

لا شكّ أنّه سيكون قادرًا إذا قبل التوقّف عند حدوده وكسر الوهم، ولا يتمدّد على حساب حدود الغير وهمًا؛ ولكن إن تمدّد وهمًا؛ فسيجد نفسه سجين تلك الفكرة التي أنتجها قيدًا.

ولذا فبالثَّقافة رفعة تفكّ القيود، وبها توضع قيودًا: (تُفك من قيد الجهل المعرفي وتوضع به)؛ ومن ثمَّ فالمارقون الذين تمكّنوا من الاستيلاء على مقاليد السُّلطة في بلدانهم حكموا النَّاس قيدًا، كما كان حال فرعون الذي قال كما جاء في القرآن الكريم: {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}[15]، فهؤلاء لا يرون شيئًا يعلو على رؤاهم، ومن يخالف

[15] غافر 29.

رؤاهم ضلّ، ومن يضلّ عن رؤاهم المخالفة للحقّ تواجهه المكائد، والدّسائس وصولًا إلى إقصائه بعد أن يلبّس بكمٍّ من التّهم التي تلفّق له قيدًا؛ ليُدانَ بتلك القوانين التي سنّت من أجل الطّاعة للظلمة، ولكن لأنَّ هذه الأفعال مضادة لنواميس الحياة وسُننها الطبيعيَّة، ترفضها الإرادة الإنسانيَّة كلّما كسرت القيد الذي يكبّلها ويحول بينها وبين ممارسة الحريّة؛ ولذا عندما يبلغ الإنسان الصّحوة لا بدَّ له أن يرفض بقوّة الإرادة كلّ أسباب القيود وعللها، كما يرفض مَنْ قيّد النَّاس بها، ومَن أمر بوضع القيد في الأيدي، والطوق في الأعناق.

فتلك هي النّفس التي تطمئن حينًا وتأمر بالسّوءِ حينًا، أي: إنَّها إذا رشدت مع العقل اطمأنت، وإذا وهمت مع نفسها ساءت؛ ومن ثمَّ وجب كسر الوهم بقيد العقل رُشدًا.

ومع أنَّ القيد بمفاهيم العموم سالبًا، فإنَّه بالمفاهيم الموضوعيَّة ملئ بالموجبات وخير مثال: تلك المعجزات التي أنزلت على الأنبياء بغاية كسر قيد الوهم الذي كبّل عقول النَّاس وجعلهم يتخذون من دون الله آلهةً وأربابًا.

ومِن أعظم الأوامر التي أنزلت قيدًا على النبي محمّد -عليه الصَّلاة والسَّلام-هي فعل الأمر (قُل)، وهو فعل الأمر الملزم الأخذ به والتقيُّد؛ حيث لا اجتهاد من بعد (قُل)؛ ومن ثمّ فإنَّ (قُل) قد قنَّنت كلّ ما قِيل من بعدها، ولم تتركه فضفاضًا للتناقض وسوءِ التفسير وأوهام البشر؛ فهي

من أهم الكلمات التي نقلت المبلّغ به إلى المبلّغ إليه دون أن تترك له رأيًا فيما أمرت به وقيَّدته.

ومن هنا فإنَّ الإرادة أمام الأمر المطلق أو الأمر كرهًا لن تُعد مطلوقة العنان، فهي بقدر ما يقيّدها الدين فإنَّ الدِّين يفتح أمامها آفاقًا واسعة، وكذلك بقدر ما تقيّدها القيم تسمح لها بالامتداد، وهكذا الدّساتير والقوانين تقيد حركة امتداها، وقد تقوّض المقدِمينَ عليها وتقودهم قيدًا إلى داخل الجدران وأقفاص الحديد؛ ومع ذلك لا تجعل الخوف قيدًا عليك، بل اجعله قيدًا بين يديك تقوض به أيدي من يريد أن يقوِّض إرادتك ويشكل عليك خطرًا.

ومع أنَّ الدساتير الوطنيَّة لا تكون إلَّا باختيارات الشُّعوب إرادة، فإنَّها لا تزيد عن كونها قيدًا ديمقراطيًّا؛ ومن هنا فالإنسان إذا أراد ارتقاء؛ فعليه أن يستوضح نفسه مثلما يحاول استيضاح أنفس الغير؛ حتى يتمكّن من إزاحة النقاط المظلمة فيها، وأن يتنزّه في نفسه حتى يستبصر من هو؟ وما له؟ وما عليه؟ ثمّ يعمل على التصحيح، ويتحدّى عقله تفكيرًا في نفسه؛ حتى يدرك أسرارها وخفاياها؛ ومن ثمّ يعرف أنَّ قوّة البصيرة بقوّة التفكير فيها، وهي لا تضعف إلّا إذا دخلتها الغفلة وسيّرتها الشّهوة وكبَّلتها القيود؛ ولهذا فالفكر ارتقاء يُمكّن الآخذين به من التفكير فيما يفكّرون فيه، حتى يفكّروا فيما هو أحسن منه.

والفكرة سواء أكانت استنارة أم قيدًا لا تكون إلّا من إعمال العقل، الذي بإمكانه أن يستمدّ الشيء المجرّد من الشّيء المشاهد أو الملاحظ، كما هو استمداد القوانين من المعطيات الكونيَّة والطّبيعيَّة، ولأنَّ الفكرة مولود العقل؛ فهي متى ما وُلدت فيه وَلَّدَتْ منه رؤية لشيء قابل للتحقّق بين أيدي النّاس، وهي لا تكون كذلك إلّا بتلاقح الآراء (سالبها وموجبها)، وكلّما كثرت المستفزّات الخَلقيّة والخُلقيّة أثارت العقل انتباهًا لما يجب؛ فتدفعه حيويّة الحيرة تجاه التخلّص من العَتَمة التي تَحول بين الغرض وتحقيقه.

ومع أنَّ الفكرة تخلّص من الحيرة، فإنّها لا تكون ارتقاء إلّا من بعدها، فالحيرة بالنّسبة إلى الفكرة تعدّ مخاض ولادة، وولادة الفكرة من دون حيرة تسبقها: هي ولادة قسريَّة؛ فلا يمكن أن يتطابق الزّمن الافتراضي لولادتها مع زمن قسريّتها، فتولد مشوّهة؛ ومن ثمَّ ستكون الحلول أو المعالجات أو الإصلاحات المترتّبة عليها منقوصة، أو منحرفة تجاه المخالف لتحقيق الأغراض ارتقاء.

ومع أنَّ هذا الأمر يعدُّ سالبًا بالنّسبة إلى الفكرة ارتقاءً، فإنَّه الأمر المحيّر والمستفزّ لعقول الآخرين إيجابًا، ممّا يحفّزهم ويدفعهم إلى الالتفات تجاه المحيّر، حتى تلد الحيرة فكرة، تُخرج من التأزّم وتكسر القيد.

ومع أنَّ زمن الحيرة الفكرية مُقلق لمن ألمت به وألمّ بها، فإنَّه المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس؛ ولذلك فالبحوث العلميَّة ارتقاءً

تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة الأغراض المحفّزةِ على حيرة جديدة، من بعدها حيرات تُمكّن من تحقيق غايات هي الأخرى تمكّن من كسر القيد؛ ومن ثمَّ إحداث النُّقلة ونيل المأمول.

ولهذا فلا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكّن من الإلمام بالمحيّر حتى يقتنص له حلًّا، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن يفكّر في الشّيء استحالةً أو إعجازًا أو ممكنًا؛ حتى يقتنص حيرة بها يقتنص فكرة، تلد له حلًّا يمكّنه من تغيير أحواله رفعة، أو أن يضيف له جديدًا، أو على الأقل يتمكّن مِن كسر قيدٍ من بعده ينهض.

وعليه فالعقل بقدر ما هو الطّليق (خَلقًا فطريًّا)، فإنَّه المقيد خُلقًا مكتسبة، ففي خَلقه الفطري يجسّد الحياة الأميَّة (حياة الفطرة البشريّة)، وفي خُلقه المكتسبة يجسِّد حياته الإنسانيَّة قيدًا (إنَّه العقلُ الطليقُ قيدًا).

والعقل مع أنَّه الطّليق اختيارًا فهو المقيّد تسييرًا؛ أي: مع أنَّه المخيّر في مشيئة خَلقه، فإنَّه المسيّر في مشيئة خَالقه.

ويعدّ العقل قيدٍ؛ لأنَّ كل القيود التي تلمّ به وتطوّق حريّته لا تكون إلَّا وليدة أفكاره، أمَّا الأديان مع أنَّها جاءت مخففة لآلامه ومواجعه من تلك القيود التي طوّق بها نفسه، فإنَّها لا تخلو من قيودٍ في دوائر التحليل والتحريم والثواب والعقاب.

وأوَّل القيود التي فكّر العقل البشري فيها أنْ يتّخذ له معبودًا ويتقرَّب إليه زلفى، معبودًا يُصنع من طينة ليست من صنع يدي الصَّانع، أي: معبودٌ لا شأن له حتى نستطيع أن نقول عنه: إنَّه أفضل شأنًا من شأن صانعه إلهًا.

ومن هنا نقول: إنَّ الخَالِقَ الذي يجب أن يعبد لا يكون إلَّا أعظم من المخلوقِ؛ ولأنَّ الخالق أعظم من المخلوق فيكف لخالقِ مصنوعٍ أن يتخذ له إلهًا من صنع يديه ولم يتخذ له معبودًا كان من وراء خَلقه ووراء يداه اللتان صَنعَ بها معبودًا من دون خالقه؟

إذن: العقل وفقًا لامتلاكه حيّز التخيير وفسحته قد حاد عن حياة الفطرة (الحياة الأميَّة) وذلك بتعظيمه من هو أقل شأنًا منه وفقًا لقاعدة: كل مخلوق من ورائه خالق، والمخلوق دائمًا أقل شأنًا من شأنِ خالقه.

ولأنَّ العقل قيدٌ على ممارسة الحريَّة فقد ابتدع لنفسه صفة لا علاقة لها بالحياة الأميّة، إنَّها صفة (الدكتاتور) التي بها قاد غيره، حتى تمكَّن غيره من الانقلاب عليه بأسلوبها قيدًا دكتاتوريًّا.

ومن هناك فالعقل الدكتاتور إذا حكم الشَّعب يُصبح هو المشرّع، وإذا غاب وكأنَّ القانون غاب؛ والشُّعوب التي ركنت سنينًا تحت عقل الدكتاتور قيدًا لا ترى نظامًا ضابطًا للعلاقات بينها إلَّا ذلك النظام الذي ربط العلاقة بين الخوف والجبن حتى جعلهما وكأنَّهما التوأم؛ مع العلم أنَّ الخوف موجبٌ كما هو حال الخوف من الله، ومن الظلم، والذنوب،

والعيوب، أمَّا الجُبن فسلبي؛ ذلك لأنَّه لا يكون في الميادين واقفًا إلَّا شاهد زورٍ.

ولذا أصبحت الدكتاتوريَّة لدى البعض مطلبًا يُقيِّد عقلًا لا ينضبط إلَّا بها، فالعقل الذي ركن السّنين قهرًا تحت وطأتها فلا يرى قيدًا ضابطًا للعلاقات إلَّا قيدها.

ومع أنَّ العقل الدكتاتور قادرٌ على توليد الحيويَّة كرها، فإنَّه المميت لها عند المستنيرين والمتطلّعين إلى بلوغ الأمل ونيل المأمول حريّة وكرامة وإرادة.

النُّهوض عن استنارةُ ودراية:

الاستنارة عن دراية تعني مما تعنيه أن تتم الدّراية أوَّلًا عن بيِّنة، ثم تكون الاستنارة مترتّبة على تلك الدِّراية، أي إنَّ الدِّراية بالشيء أو الأمر تعني الإلمام به فهمًا لما يستوجب الفهم، وحفظًا لما يتطلّب الحفظ، ثمَّ الوعي التَّام بأهميَّة المدرى به، ومن بعدها تكون الاستنارة بعدما تتجسَّد القوانين المدرى بها في الكلمة والقول، والفعل والعمل والسُّلوك، حتى يصبح صاحبها قدوة حسنة حُجَّةً وبرهانًا كما هو حال النَّبي محمَّد القدوة الحسنة.

ولهذا فالدِّراية إلمام رفيع بالمدرى به إنباءً، مع وافر الوعي مقدرة واستطاعة، ولا مضاد لمفهوم الدِّراية إلَّا الأميَّة، التي كانت صفة للنبي

محمَّد، قبل أن يتم إنباءه بالمدرى به، والذي من بعده أصبح النبي المدري بعلم السَّماء يقينًا.

والدِّراية لا تكون إلَّا بعلم الغيب من عالم الغيب، وهو العلم الذي لا يُمكن معرفته إلَّا بالنبأ المنزَّل على الرُّسُل الكرام عليهم الصَّلاة والسَّلام.

ولأنَّ علم الغيب بيد عالم الغيب والشَّهادة، فلا إمكانيَّة لمعرفة شيء منه إلَّا وحيًا يُوحى: {يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا}[16]. أي: مع أنَّ الله قد أظهر للنبي محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام ما أظهره عليه من وحي مُنزَّل، فإنَّه لم يظهره على كل الغيب وعلمه؛ ومن هنا فإنَّ علم السَّاعة ما زال علم غيب ولا دراية لنا به مع علمنا وتسليمنا.

إذن: الدِّراية هي العلم بالشّيء يقينًا، وعن عي واستطاعة، وهي الدَّالة على إحداث النُّقلة من حالة الأميَّة إلى حالة الالمام بالعلم المنزَّل.

والدِّراية لا تكون إلَّا استنارة بعلمٍ كان مجهولًا كما تستنير الظُّلمة بنورٍ يضيء مساحتها وإنْ عظمت.

ولهذا فإنَّ علم الدِّراية لا أميَّة فيه أبدًا؛ ومن ثمَّ فإنَّ مفهوم الأميّة يعطي مفهومًا مضادًّا لمفهوم الدّراية، وفي المقابل يصبح مفهوم العلم مضادًّا

[16] الأحزاب 63.

لمفهوم الجهل؛ ولهذا مع أنَّه لا وجود لأمَّة أميّة بعد الرِّسالة الخاتمة والرّسول الخاتم، فإنَّ الجهل بين أفراد الأمم قيدٌ على كلِّ بداية ونهاية.

والأمَّة الجاهلة هي الأمَّة التي تعيش التخلُّف ولا تُدرِك الحالة التي هي عليها من تخلّفٍ، وهي التي لم تأخذ بأسباب العلوم ولا تسهم في إحداث النُّقلة وبلوغ الأمل ونيله دراية.

ومع أنَّ الأميَّة على العقل قيدٌ صلبٌ فإنَّ الدّراية قادرة على كسر قيدها؛ وذلك كما كسرت أميَّة النبي محمَّد –عليه الصَّلاة والسَّلام–الذي كان قبل الوحي أميًّا والذي أصبح من بعده نبيًّا مدريًا.

وإذا أردنا أن نكسر قيد الأميّة معرفةّ فعلينا بتحديد المفاهيم ذات العلاقة بها وما تقيّده من مفاهيم متضادّة، والتي منها:

. **الاستغفال** في مواجهة **الاستنارة** (الاستغفال قيد دون الاستنارة).

. **الاستظلام** في مواجهة **الاستضواء** (الاستظلام قيد دون الاستضواء).

. **الاستغماض** في مواجهة **الاستجلاء** (الاستغماض قيد دون الاستجلاء)

. **الجهل** في مواجهة **العلم** (الجهل قيد دون العلم).

. **الشَّك** في مواجهة **اليقين** (الشَّك قيد دون اليقين).

ـ **الغفلة** في مواجهة **الصَّحوة** (الغفلة قيد دون الصَّحوة).

ـ **الغيبوبة** في مواجهة **الوعي** (الغيبوبة قيد دون الوعي).

ـ **الضلال** في مواجهة **الهداية** (الضلال قيد دون الهداية).

ـ **التيه** في مواجهة **المعرفة** (التيه قيد دون المعرفة)؛ ذلك لأنَّ التائه هو الذي ليس له من الدّليل شيءٌ ليستدل به على الشيء معرفة.

ـ **الأميَّة** في مواجهة **الدِّراية** (الأميَّة قيد دون الدراية).

إذن عندما تكون الدِّرايةُ في مواجهة الأميَّة يصبح الإلمام المعرفي بلا نواقص، وهي الممكِّنة مِن معرفة العلاقة بين السّماء والأرض، وهذه خاصيّة خص الله بها الرُّسُل والأنبياء الكرام عليهم الصَّلاة والسَّلام وحيًا وإنباءً.

ومع أنَّ الدِّراية خاصيّة خصَّ الله تعالى بها الأنبياء والرّسُل، فإنَّ المؤمنين بمعجزاتهم يدرون بها علمًا ومعرفةً تمكِّنهم مِن التمييز بين العلم الممكن، والعلم المعجز، والعلم المستحيل؛ ومفهوم العلم هنا ليس كما يظن البعض ذلك التعليم الممنهج، بل هو علم الدِّراية يقينًا واستنارةً.

والدِّراية لا تكون استنارةً إلَّا من بعد الإلمام التَّام بما ينبغي الإلمام به، وأنَّ المدرى به سيكون قيدًا على من التزم به أوامر ونواهٍ؛ ولذا فالدّراية رفعة عن كلِّ ما من شأنه أنْ يؤدّي إلى الانحدار والسُّفليَّة؛ وذلك بغاية بلوغ ما يُمكِّن من إحداث النُّقلة، التي:

ـ تغذي الرّوح نشوة.

. تطمئن النّفس سكينة.

. تخاطب العقل دراية.

. ترضي القلب يقينًا.

. تشبع البدن حاجة.

. تزيد الذّوق رفعةً وارتقاءً.

وعليه: فإنَّ الحياة الدُّنيا وبما فيها من دراية عقليَّة، فإنَّها إذا ما قورنت بتلك الحياة العليا لا تزيد عن كونها حياة الحاجات المنقوصة، وحياة الفتن والعداوات التي بدأت أوَّل ما بدأت بين الأخوين (ابني آدم)، ثمّ اتّسعت وتكاثرت مع التكاثر فأصبح الصّدام والاقتتال انحدارًا بين بعض النَّاس، وفي المقابل يرتقي بعضهم رفعة؛ فآدم الذي خسر ذلك الموقع الرّفيع، أصبح يأمل العودة إليه دراية؛ ولذلك فقد سعى استغفارًا وتوبة أهَّلته لأن يكون نبيًّا يُنبئ بما عُلّم به من قِبل خالقه؛ ومن ثمّ فلا مكان له بعد النبأ العظيم إلّا الجنّة، التي لا تبلغ ارتقاء إلّا بالعمل الصّالح عقلًا ودراية.

ولذلك أصبح العمل ارتقاءً أمل المصلحين السّاعين إلى الكسب الحلال بلا حدود؛ ولذا فالسّاعون ارتقاء مهما بلغوا من المراتب والقمم فهم يأملون مراتب عظيمة من بعدها قمّة أعظم؛ ولهذا وجب اتقان العمل إخلاصًا ودرايةً، حتى الارتقاء بالأرض الدّنيا ورتقها في السّماء جنّة.

عليه: وجب العمل الممكِّن دراية من بلوغ الأحسن والأرقى، شريطة ألَّا يكون التحسّن على حساب إشباع حاجات الغير، بل ينبغي أن يكون العمل تُرسًا من تروس عجلة الحياة العامّة؛ ذلك لأنَّ الارتقاء الممكّن من العمل المرضي لا يُمكن أن يتحقّق والغير يتألم؛ ولذلك فالعمل وفقًا لأهداف الحياة ينبغي أن يكون من ورائه غرض خاصّ وهو: إحداث النُّقلة عن درايةٍ، وغرض عام يُحفِّز الآخرين ويدفعهم للرّفعة، وإلّا فألم الغير لن يفسح الطّريق أمام من يسعى إلى الارتقاء غاية وهو لا يدري.

ومن هنا فإنَّ بني آدم في دائرة الممكن هم بين متوقَّع الارتقاء عقلًا ودراية، ومتوقَّع الدونيَّة غفلة وشهوة، ومن جهة أخرى هم يتبدّلون؛ إذ لا ثوابت؛ فمنهم من يبقى على الارتقاء، ومنهم من يتخلّى عنه قيدًا، ومنهم من نراه في دونيَّة، ولكن من بعدها يبلغ القمم ارتقاء؛ ولذلك ينبغي العمل مع بني آدم من حيث هم، من أجل الارتقاء بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه دراية واستنارة.

ومن ثمّ ينبغي على بني آدم عند رسم السّياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضًا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والرّفعة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميَّة فضيلةً، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمةً، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار قيدًا.

إذن: فعلى العقل الآدمي درايةً أنْ يعي بإمكانيَّة بلوغ السّماء ارتقاء كلّما عمل وفقًا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ومأمولات يتم نيلها، ولكن إن أحسّ العقل وهو منفردٌ بشيءٍ من التّعب، فعليه بوضع اليدين مع الأيدي صعودًا وارتقاء.

فالارتقاء عقلًا ودراية مثل المعمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة، وفكرة من بعد فكرة، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأمل من بعده مأمول أعظم)، ولكن في المقابل هناك من يهدم المعمار رأسًا على عقب، وهناك من يهدّه لبنة بعد لبنة، فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيًّا، والهادمين له انحدارًا؛ ولأنَّ الخالق خلقنا على الاختلاف فلا بدَّ أن نظل عليه مختلفين: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[17]، ولهذا فالصّراع والصّدام بين أهل العقول والدِّراية وبين أهل الشّهوة والتمدُّد على حساب الغير سيظل قيدًا ساريًا بين حقٍّ وباطلٍ.

ولذا فإنَّ الاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة خيّرة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي:

---

[17] هود: 118، 119.

ينبغي عقلًا ودرايةً أن تحدّد الأهداف وفقًا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصامًا، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلًا وارتقاءً.

ومن أجل الارتقاء قمّة ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن، فالاقتتال والفتن قيود وضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين، ومن ثمَّ يجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف دراية واستنارة، ومن يضيّعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم، فالنّدم قيد وعندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة فقيد النّدم دراية يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما غلبت الشَّهوة عقل الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي عقله دراية ارتقاء تذكّر، فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر عمل وأنتج، ومتى ما فكّر درايةً حدّد أهدافًا من ورائها أغراض، وغاية من ورائها مأمول يتم نيله.

إذن: وجب التدبُّر دراية بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين، فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بأهل العقول والدّراية، وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرًا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يُمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم وتوجيهها وفقًا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة، فيخلّصهم من التسوّل إرادةً وعملًا، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم

أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة، فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة، والمأمولات قمّةً وارتقاءً.

فرجالات الدّولة عقلًا ودراية هم من لا تأخذهم العصبيّة؛ ذلك لأنَّ العصبيّة قيدٌ ومقبرة للذين لا يعلمون، فرجالات الدّولة دراية وارتقاء كلّما حكموا عدلوا، وكلّما قالوا صدقوا، وكلّما عاهدوا أوفوا، وكلّما كَبِروا تواضعوا، أمَّا المدّعون لذلك فهم مع كلّ هبَّة ريح يميلون، وهنا تكمن علّتهم وسُفليَّة الدَّولة ودونيَّتها.

فقيام الدّولة ورفعتها ارتقاء لا يكون إلَّا عن عقلٍ ودرايةٍ؛ ولهذا ينبغي أن يتم استهداف رجالات بعينهم لإدارتها وفقًا لما هم عليه من مكانة ودراية وخبرة وتجربة، ومع ذلك ينبغي أن يتم إخضاعهم للتقييم قبل أن يتمّ اختيارهم إلى مناصب إداراتها، وكذلك فهم بعد الاختيار يقوّمون كلّما حادوا عن الدّراية قيمًا وخُلقًا؛ وذلك أوَّلًا: بهدف إعادتهم إليها ارتقاءً، وثانيًا: محاسبة من انحرف منهم عن قيم حَمْل المسئوليَّة التي تم اختيارهم إليها إرادة.

ومن ثمّ فمن يرى نفسه رجل دولة فعليه باختبار نفسه وتقويمها قبل أن يُختبر ويقوّم من قِبل الغير.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنين كرام يدركون أنَّ السّبيل إلى النّجاح هو الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزّم العلاقات، أو يؤدّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعيَّة، أو الوطنيَّة، أو الإنسانيَّة، أو يمسّ معتقدًا دينيًّا، ومع ذلك فهناك من يجهل ويغفل، فيقع في فخّ مصيدة الغاوين والمزيّنين والمضللين، التي تزداد ضيقًا على رقاب من يقع في فخّها كلّما حاول أن يرى نفسه غير مختنقٍ.

ومع أنَّ للألم أوجاعًا، وللتأزّم أوجاعًا، فإنَّ أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم، فآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن سامحك من أجرمت في حقّه؛ ولذلك وجب الدِّراية وأخذ الحيطة والحذر، حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمَّا الحقد بين بني آدم فهو مثل حطب نار جهنّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي: إنَّ نار الحقد تحرق أوَّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)؛ ولذلك فالحقد يُلهي الحاقد من بني آدم في نفسه، والحاقد في حقيقة أمره في حاجة لمن يطفئ عنه النَّار التي بها نفسه تحترق، ومن ثمّ فمن يعتقد أنَّه إذا تمكّن من عضّ يد أحد وعضّها، فلا شكّ أنَّ عضَّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا فإنَّ حُرقة الجهل والظّلم والعدوان والكيد والمكر والحسد عندما تشتعل نيران غضبها بين بني آدم فلا سبيل لهم إلّا الرّكون للتخلّف قيدًا،

وفي المقابل الشُّعوب دراية ترتقي علمًا ومعرفةً وتسامحًا وخبرةً وتجربةً، فتغزوا الأرض سلامًا، والسّماء بحثًا وارتقاءً.

وعليه:

فبنو آدم بلا عقل ولا دراية وبلا أمل لا يعدّون إلّا أمواتًا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله فسيبقون على أملهم وكأنَّهم بلا أمل، أمَّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل فلا شكّ أنَّه سيُسهم في إحداث النُّقلة دراية وارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنَّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس.

وهكذا بلا عقول ولا دراية هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس؛ ولذلك لا ينبغي أن يكون بنو آدم سماعيّين فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاظًا، وعليهم بالتدبّر تحليلًا وتفسيرًا وتخطيطًا وسلوكًا وعملًا، وعليهم بالتّفكّر دراية من أجل ما يجب حتى يتمكّنوا من الارتقاء من خلال ما يمارسونه من حقوق عن رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسئوليَّات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

ولذا فبنو آدم وهم تحت قيد العقل والدِّراية يصلحون أحوالهم ويعفون ويصفحون من أجل بلوغ ما يأملون رفعة وقمّة، ومع ذلك فهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكِّن من زيادة الارتقاء قمّة، وخير وسيلة لذلك المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعًا وتمدّدًا.

والارتقاء بالنّسبة إلى بني آدم هو: أملٌ قابلٌ لأن يتحقّق ويتمّ بلوغه، ولكنّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلّا بمقارنة بين العُليا والدُّنيا؛ فالعُليا هي السّماء وما فيها من نعيم الجنّة وبقاء الحياة، أمَّا الدُّنيا فهي الأرض وما عليها من مخلوقات وزوال الحياة؛ ولذا فبين هذا وذاك وجد الإنسان نفسه بين التّخيير تارة، والتّسيير تارة أخرى؛ فالتّخيير (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحًا أو تعمل طالحًا، تَصدُق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء....)، أمَّا التّسيير فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق أو غروب، برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة....).

ولهذا فالارتقاء قمّة يمكّن بني آدم عقلًا ودراية من العيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة) ويمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العليا (الباقية)، فبنو آدم عقلًا ودرايةً لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يقيّدون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة؛ ومن هنا فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء[18].

[18] عقيل حسين عقيل، الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م، ص 6 – 16.

النُّهوضُ استنارةُ عقل:

استنارة العقل بما يدري دراية، تُمكِّن من الاختيار عن وعي، والتمييز عن وعي، والعمل عن وعي، والسُّلوك عن وعي، والتقوى عن وعي، ومخافة الله عن وعي، ولهذا فاستنارة العقل مقدرة واسعة تكشف العلاقة بين السّماوات والأرض من خلال استيعاب المعجز، ومعرفة المستحيل، والبحث الممكّن من اكتشاف المتوقّع وغير المتوقّع، فالعقل دراية وارتقاء قيمة تفضيليّة خصّ الله بها الإنسان خَلقًا وخُلقًا؛ فهو في خَلقه كان في أحسن تقويم، أمّا في خُلقه فينبغي أن يكون على الفضائل الخيّرة التي فضّلها الله، وعلى القيم الحميدة التي ارتضاها النَّاس: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[19].

فهكذا هو التفضيل للإنسان الذي يمشي سويًّا على صراطٍ مستقيم، والذي شاء الله أن يكون خليفته في الأرض؛ ولذا فالفرق كبير بين من يمشي مكبًّا على الأوجه ومن يمشي سويًّا (مقوّمًا)؛ ذلك هو أمر الخالق ومشيئته التي شاءت التفضيل لمن يمشي سويًّا على غيره من المكِبّين؛ إنَّها الفضيلة الباقية التي لا تتبدّل؛ كونها صُنع الخالق، أمَّا المتبدّل فهي الأخلاق التي لا تكون إلَّا بيد المخلوق.

ولذا فلا إمكانيَّة لتلك المخلوقات المكِبّة والزَّاحفة أن تتطوّر وترتقي كما يظنّ بعض البحّاث لتصبح غير زاحفة، أو غير مكبّة الأوجه، وفي

[19] الملك 22.

المقابل يمكن للإنسان الذي يمشي سويًّا أن ينحدر خُلقًا فيضل ويظلم ويعتدي بغير حقّ، ومع ذلك فلن ينحدر خَلقًا، أي: يُمكن أن تصبح أخلاق الإنسان سُفليَّة ودونيَّة، أمَّا خَلقه فسيظل في أحسن تقويم، ولن يتبدّل: {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}[20]؛ ولأنَّه المتقن بالمطلق فقد اتقن جلَّ جلاله خَلق الإنسان في أحسن تقويم، ومع أنَّه خلقه في أحسن تقويم، فإنِّه لم يخلقه على الكمال، ذلك هو الإنسان الذي خُلق مسيّرًا ومخيّرًا (يصيب ويخطئ)، وبين هذا وذاك يستغفر فيُتاب عليه.

ولأنَّ الأخلاق لا تخرج عن دائرة الممكن رُقيًّا فلا استغراب أن يحدث الخطأ، بل الاستغراب ألا يصحّح ولا يقوّم، كما صحّحه أبونا آدم، وقوّمه ساعة حدوثه، وساعة كشف علله دراية: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[21]؛ ذلك لأنَّ الكلمات الصّائبة تصحّح الأخطاء الواقعة دراية تامَّة وكاملة، وهذه تتعلّق بارتقاء الأخلاق ولا تتعلّق بالخَلق الذي لا يتبدّل.

وفي دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع لا بدّ وأن يقع الإنسان في الخطأ، أمَّا الاستثناء في دائرة الممكن ألَّا يُصححه، ولهذا أخذ أبونا آدم بالقاعدة، وهي: متى ما وقع الخطأ وجب التصحيح الذي يوجب تصحيح المعلومات الخاطئة بالمعلومات الصّائبة دراية.

---

[20] النمل 88.

[21] البقرة: 37.

وعليه:

فالارتقاء قيمةٌ خُلِقَ الإنسان عليها من طين الجنّة عندما كانت الأرض مرتقة في السّماوات: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[22]؛ ولأنَّ الإنسان الأوّل خُلق من تراب الأرض المرتقة في السّماء جنّة، كان خَلقهُ في أحسن تقويم: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[23].

ولذا فأساس خَلق الإنسان التقويم الحسن دلالة ومعنى وصورة، أمَّا الاستثناء ألَّا يحافظ الإنسان على حُسن التقويم الذي خُلق عليه خَلقًا، وهذا ما حدث مع أبينا آدم عندما لم يأخذ بما أُمِرَ به وهو: ألَّا يأكلّ من تلك الشّجرة: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[24].

ومن هنا جاء انحدار أبينا آدم عوضًا عن الارتقاء الذي خُلق عليه خَلقًا: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[25]؛ حيث الهبوط على الأرض التي فُتقت من السّماوات فأصبحت أرضًا دنيا إذا ما قورنت بما بقي في علوٍّ

---

[22] الأنبياء: 30.

[23] التين: 4.

[24] البقرة: 35، 36.

[25] التين: 5.

(في السّماء)، ولكن آدم الذي خُلق على حُسن التقويم فبعد الدراية تدارك أمره فاستغفر ربّه؛ فتاب عليه: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[26]، ولهذا فقد استثني آدم من الوجود السُّفلي كونه تاب الله عليه بسبب استغفاره ورُقي إيمانه: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}[27].

وعليه:

فالإنسان الأوَّل (آدم) كونه قد خُلق في أحسن تقويم فتقويمه الخَلقي لم يتغيّر، بل الذي تغيّر هو عدم أخذه بما يبقي الأخلاق ارتقاء؛ وذلك حينما أخذ بما يغوي، وهو المنهي عنه: (ألَّا يأكل من تلك الشّجرة)، فحاد آدم عن الخُلق الذي هو بيده تخييرًا، ولكن لم يحدّ عن خَلقه المقوّم تسييرًا؛ إذ لا إمكانيَّة له في ذلك (إنّه صُنع الله).

ولذا فالارتقاء عقلًا لا يكون إلَّا كيفًا؛ كونه يتعلّق بالدّراية لا بالماديَّات، وهكذا حال النُّقلة التي لا تكون عقلًا إلَّا عن معرفةٍ وعلمٍ، وهي تختلف عن النَّقلة التي لا تكون إلَّا مادَّة.

إذن: فالارتقاء عقلًا لا يكون إلَّا وعيًا، وبه يتم التمييز بين ما يجب وما لا يجب، وبه دراية يتم الاقدام على ما ينبغي، والانتهاء عمَّا لا ينبغي، ومن هنا تتحقق الرّفعة بكل ما يؤدّي إلى النُّقلة إلى الأفضل والأنفع والأجود، أي: إنَّها تتحقّق بالتخلّي عن كل ما يؤدّي إلى السُّفليَّة والدّونيَّة.

---

[26] البقرة: 37.

[27] التين: 6.

ومع أنَّ خَلق الإنسان جاء على الرّفعة خَلقًا، فإنَّه أخلاقًا يقع فيما يؤدّي به إلى الدُّونيّة والسُّفليَّة؛ ولذا فلا ارتقاء إلَّا بفضيلة حميدة أو قيمة خيِّرة، ولا دونيّة إلَّا بالتخلّي عن الفضائل والقيم.

ومع أنَّ أمر الارتقاء الآدمي جاء خَلقًا مميّزًا عن غيره من المخلوقات وبقي متميّزًا وسيظل، فإنَّه أخلاقًا انحدر سُفليَّة؛ ذلك لأنَّ أمر الخَلق بيد الخَالق جلَّ جلاله، أمَّا أمر الأخلاق فبيد المخلوق الذي خُلق على التسيير خلقًا، وتُرك له التخيير فيما يشاء إرادة سواء أكان ما يشاءه دراية عن فضيلة وقيمة، أم ما يشاءه بلا فضيلة ولا قيمة.

ولأنَّ الخَلق بيد الخالق فلا تخيير، ولأنَّه لا تخيير فسيظل من خُلق مكبّ الوجه مكبًّا، وسيظل الزّاحف زاحفًا، وسيظل من يمشي سويًّا على قوامه في أحسن تقويم، ومن ثمّ فسيظل القرد قردًا، والإنسان إنسانًا، والسّمك سمكًا.

ونظرًا لأهميَّة الإنسان في الوجود الخَلقي جاء خَلقه من عجلٍ: {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}[28] والعجل هو الشيء الذي نجهله صفة، وندركه شيئًا، فقوله: (من عجلٍ) أي: من شيء مميّز، ولم يقل: (على عجلٍ) أي: لم يقل (على تسرّعٍ)؛ فالخالق تعالى يخلق بالأمر لا بالجهد، ولهذا فخلقه لا تسرّع فيه، ولأنَّه لا تسرّع، قال: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ

[28] الأنبياء: 37.

تَقْوِيمٍ}[29]. مع العلم أنَّ العَجل في كلام أهل حمير يعني: الطّين، وهذا المعنى ينسجم مع قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ}[30]، والسّلالة هي: النّوعيّة الرّاقية من طين الجنّة حيثما كانت الأرض مرتقة مع السّماوات في علاها؛ وذلك لأنَّ خَلق الإنسان لم يكن على الأرض الدُّنيا، بل كان خَلقه على الأرض قبل أن تُفتق عن السماوات، ويُهبط بها دُنيا، ولهذا فالسّلالة تدلّ على أصل الخلق الآدمي من تراب الأرض المرتقة في السّماوات؛ حيث رُقي طين الجنّة.

ومن هنا فسلالة خَلق الإنسان خاصّة به، والسّلالة تعني الجودة الرّاقية ذات الخاصيّة المتميّزة (جنسًا ونوعًا)؛ ولذا فلا عجل، ولا عبثيَّة في خَلق الإنسان الذي خُلق من طين الجنّة، والذي جودته تصلصل ارتقاء: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}[31].

ولأنَّ الإنسان الأوّل (آدم) قد خُلق في أحسن تقويم فهو من حمإ مسنون (من مادّة ذات جودة عالية)؛ إذ لا شائبة، ومن ثمّ فلا طين يماثلها، فالطّين الذي خُلق منه الإنسان من صلصال (أرقى أنواع الطّين).

ومن هنا خُلق الإنسان مُفضّلًا على جميع المخلوقات بما فيها الملائكة والجنّ: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ

---

[29] التين: 4.

[30] المؤمنون: 12.

[31] الحجر: 26.

فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[32].

ولأنَّ الإنسان هو المفضّل خَلقًا، وله ملكات العقل الدّارية، فعلّمه الله نبأ ما لم يعلمه الملائكة: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}[33].

ولأنَّ خلق آدم كان أكثر ارتقاء من غيره، سجد الملائكة إليه طاعة لأمر الله: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا}[34]، أي: بأسباب الخَلق ارتقاء وكذلك النّبأ العظيم الذي تلقاه آدم من ربّه، سجد الملائكة له طاعة للنبأ الذي أنبأه الله به.

ولأنَّ الجنس الآدمي هو المفضّل ارتقاءً، كان آدم نبيًّا للملائكة والجنّ والإنس جميعًا: (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) فلمّا أنبائهم سجد الملائكة إِلَّا إِبْلِيسَ (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ). وإلّا هل هناك من يشكّ في أنَّ الذي سجد الملائكة له لم يكن على الارتقاء مفضَّلًا؟

---

[32] البقرة: 30.

[33] البقرة: 31 . 33.

[34] البقرة: 34.

أمَّا الخَلق الثَّاني: فهو الخلق المؤسّس على النّطفة (الماء الدّافق): {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ}[35]، وهذا الخلق هو الخَلق التزاوجي، الذي يختلف عن ذلك الخلق المصلصل، ممّا جعل السّلالة الثَّانية تختلف عن السّلالة الأولى، فالسّلالة الأولى: من طينٍ لازب، والسّلالة الثَّانية: من ماءٍ دافق مَهين: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَاءٍ مَّهِينٍ}[36].

ولأنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء فينبغي أن يكون عليه قمّة وكأنّه كبد الكون: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}[37]، أي: خُلق الإنسان على المحبَّة تميُّزًا فينبغي أن يكون عليها كبدًا تتألم مع من يتألم، وتأمل الخير مع من يأمله، وتعمل في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع على تحقيقه، وكذلك ينبغي أن تسعد مع من يسعد، وتسعى خيرًا استقامةً واعتدالًا ولا مظالم، فتجمع ما تفرّق من أجل إعادة قيمة الإنسان وحفظ كرامته، وما يؤدّي به إلى الرّفعة والارتقاء دراية.

وعليه: تعدّ الأخلاق نتاج الفضائل الحميدة، والقيم الخيّرة، التي تستمدّ من الأديان والأعراف ارتقاء، فبها يرتقي الإنسان قولًا وفعلًا وعملًا ومعرفةً وسلوكًا؛ من أجل علاقات اجتماعيَّة وإنسانيَّة مؤسّسة على نيل التقدير والاعتبار.

---

[35] النحل: 4.

[36] السجدة: 8.

[37] البلد: 4.

وبما أنَّ الإنسان أساس خَلقه الارتقاء (في أحسن تقويم) فإنَّ غايته الارتقاء خُلُقًا إلى ما يجب، ومع أنَّ الأخلاق بيد النَّاس، فإنَّ بعضهم يخسرها بلا ثمن؛ ولذلك فالإنسان الأوّل قد خُلق من تراب الجنّة، وظل على خَلقه سلالة بشريَّة تمتدّ بين طينٍ لازب وماء دافق، ولا انحدار عن الخَلق المقوّم ولا تطوّر من بعده، فالإنسان هو الإنسان، ولكن الانحدار والتطوّر في دائرة الممكن هو بين متوقَّع وغير متوقَّع، فآدم وزوجه خُلقا في الجنّة من تراب الجنّة، ومع ذلك تعرّضا لإغواءٍ جعلهما على حالة من الانحدار عن القيم؛ حيث عدم التزامهما بالأمر النَّاهي عن الأكل من تلك الشَّجرة المنهي عنها: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[38].

ولذا فإنَّ البقاء في الجنّة بقاء فضائل خيّرة وقيم حميدة، فمن لا يكون عليها لا يكون فيها، فحتى آدم عليه الصَّلاة والسَّلام الذي خُلق في الجنّة خَلقًا أُهبط به على الأرض الهابطة إلى الحياة الدّنيا؛ وذلك بأسباب معصيته وميله لوسوسة من أغواه شهوة.

ولأنَّ الأخلاق يتمّ تشرّبها فضائل خيّرة فبعد أن تَلقّى آدم كلمات من ربّه ترشد إلى التي هي أقوم تاب الله عليه درايةً: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[39]، ومع ذلك صدر الحكم

[38] البقرة: 36.

[39] البقرة: 37.

عليه والأرض ومن عليها من المخالفين أن يهبطوا من علوٍّ وارتقاء إلى سُفليَّة ودونيَّة: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا}[40].

ولأنَّ الهبوط كان نتاج الانفتاق العظيم فهو خروج من الجنّة؛ حيث ظلّت الجنّة في العلو رُقيًّا، وظلّ آدم ومن معه من المخالفين والعصاة (الإنس والجن) يحيون الحياة الدّنيا على الأرض الدّنيا، وفي المقابل بقي الملائكة الطّائعون في علو الجنّة ارتقاءً، ولا يتنزّلون إلى الأرض الدّنيا إلّا تنزيلًا؛ لأداء مهمّة تربط أمرًا بين السّماء والأرض، ونحن نجهله فلا ندريه: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}[41].

ولأنّها الأرض الدّنيا وحياة المخالفين والمختلفين عليها مملوءة وسوسة وإغواء، إذن: فلا إمكانيَّة لأن تكون فيها الحياة آمنة مستقرّة لو لم تتنزّل الرّسالات والأنباء الواعظة، والنّاهية، والآمرة، والمحذّرة، والمنذرة، والمبشّرة بما هو أمل يشبع حاجة ويرضي رغبة؛ وذلك من أجل علاقات إنسانيَّة تنظّم أساليب الحياة ارتقاءً، وتُلفت المختلفين إلى ما يؤدّي بهم إلى الاتعاظ، ويمكّنهم من إحداث النُّقلة وبلوغ القمّة دراية.

[40] البقرة: 38.

[41] القدر: 3 . 5.

فَأُنزلت الرّسالات درايةً تأمر وتنهى: {وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[42]، بمعني: يجب أن يكون الإنسان على الأخلاق الكريمة أينما كان، سواء أكان آدم وزوجه في الجنَّة ارتقاء، أم أصبحا وبنوهم على الأرض انحدارًا، غير أنَّ الحياة العليا بعد تلك الإغواءات قد جُرّدت من النقائص والحاجات التي أثّرت انحدارًا على الإنسان الأوّل (آدم) ومَن شاركه في المعصية أو حرّضه عليها، وأصبحت الحياة هناك ارتقاءً كاملًا.

أمَّا بعد الهبوط فَالفتن لم تنته، بل تكاثرت مع التزاوج والتكاثر، فالصّدامات والخصومات بين أبالسة وشياطين الإنس والجنّ استمرّت بلا انقطاع، ومع ذلك فإنَّ بقاءها في الحياة الدّنيا هو بغاية الاتعاظ، وأخذ العبر من ذلك الإغواء الذي كان سببًا في هبوط المخالفين من الحياة الرّاقية إلى الحياة الهابطة.

ولأنَّ مخالفة آدم وزوجه لِمَا نهى الخالق عنه: (الأكل من تلك الشّجرة قد أخرجهما من الجنّة) فظلّ هذا الدّرس شاهدًا على ما يمنع بني آدم من أن يدخلوا الجنّة، أي: بما أنَّ تلك المخالفة قد أخرجت آدم وزوجه من الجنّة، إذن: فكيف لبني آدم من دخولها؟

أقول:

[42] البقرة: 190.

قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[43].

ولأنَّ أمر الهبوط كان أمرًا حاسمًا لمخالفة جرت في الجنّة إذن: ألا يعدّ أمر الهابطين أمرًا حاسمًا في عدم الدّخول إليها؟ وهل من مُخرجٍ من هذه الأزمة وأنَّ معظم الخَلق لهم من المخالفات ما لهم على الانحدار والدونيَّة؟

أقول:

قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}[44].

من هنا وجب إعمال العقل دراية حتى التبيّن وعيًا دون إكراه، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر؛ ولذا وجب قول الحقّ وترك النَّاس أحرارًا يختارون ما يشاؤون إرادة، ولكن إن حدث الانحراف فوجب الإصلاح الذي يستوجب البدء مع المنحرفين من حيث هم: (جهلًا أو تعلّمًا)؛ وذلك من أجل بلوغ الإصلاح، أو بلوغ الحلّ ارتقاء وعن دراية.

ولأنَّ الأخلاق ارتقاءً هي أساس المعاملة الحسنة فالأخذ بها عقلًا ودراية لا شكّ أنَّه يجعل الإنسان على المحبَّة، بدلًا من أن يكون على الإكراه الذي لا يترك إلّا ألما: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[45]،

---

[43] الأنعام 160.

[44] الزمر 53.

[45] يونس: 99.

أي: فلا داعي أن يضيق صدرك يا نبي الله وأنت تعلم أنَّ مشيئة الخالق هي الفاعلة: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا}[46]؛ لذلك كان محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام داع إلى سبيل الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا إكراه، وهذه عين الأخلاق درايةً وارتقاءً، فالأخلاق تعد قيمة ارتقاء في ذاتها، وهي عندما تتجسّد في السُّلوك يصبح سلوكها قمّة، ومن هنا فمن أراد أن يكون قمّة فعليه بعقله دراية.

ولأنَّ الارتقاء خَلقًا لا يكون إلَّا بيد الخالق فقد خَلق الخَالق آدم في أحسن تقويم من غير أب ولا أم (من تراب الجنَّة الصلصال)؛ إذ لا إنس من قبله، ولأنَّه كذلك جعله الله على الارتقاء نبيًّا؛ فسجد له الملائكة طائعين، إلّا إبليس، ومع أنَّ آدم قد خُلق في الجنّة والأرض مرتقة في السّماوات، فإنَّه بمخالفة أمر الخالق أُهبط به والأرض، وكذلك معه من كان سببًا في إغوائه ومعصيته، وأيضًا من قَبِلَ الإغواء معه معصية (زوجه)، وهنا تكمن العلّة التي دعت آدم ندمًا واستغفارًا وتوبةً، ولكنَّ قرار الهبوط نافذ: {قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[47].

ومع أنَّ آدم تاب لربّه دراية، فإنَّ توبته لم تَحُلْ بينه والهبوط على ظهر الأرض إلى الحياة الدُّنيا بعد أن كان على أرض النّعيم قمّة وارتقاء، فآدم

[46] يونس: 99.

[47] الأعراف: 24.

عصى ربّه، ثمّ تاب؛ فتاب الله عليه، ثمّ اجتباه نبيًّا؛ لِيُنبئ من بُعث إليهم نبيًّا: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}[48]، وهنا يكمن أمل آدم في العودة إلى الجنَّة ارتقاءً تلك الجنَّة التي فقدها ولم يعد يراها نعيمًا على الأرض المغبرّة التي أُهبط بها أرضًا، ولكن كيف يعود آدم إلى ذلك النّعيم الوافر؟

لا سبيل له عقلًا ودراية إلَّا الاستغفار عن معصيته، والتوبة إلى خالقه؛ ففعل ذلك عن قلب؛ فاجتباه ربّه نبيًّا، وعلّمه ما لم يكن يعلم، ومن ثمَّ أدرك آدم درايةً أنَّ فرصة العودة إلى الجنّة بعد توبته أصبحت ممكنة إن عَمِلَ وأتقن عمله عقلًا ودراية.

ولذلك فَمِن بعد آدم أصبح العمل هو الممكِّن من إحداث النُّقلة وتحقيق الارتقاء دراية ورفعة، فتلك الجنّة التي خُلق فيها آدم لم يرها ابناه، فهما ولدا في الحياة الدّنيا (السُّفليَّة)، ولكن إنباء أبيهما أصبح بينهما حُجَّة وموعظة وعبرة، فبدأ العمل دراية وارتقاءً من أحدهما، وهو يأمل بلوغ ما أنبأه به أبيه الذي شهد ذلك النّعيم فأخذ بالنبأ وأمل الارتقاء إلى النّعيم نصب عينيه، وفي المقابل أخاه أخذته الشّهوة انحدارًا وسُفليَّة؛ فقتل أخاه في الوقت الذي يبسط إليه أخوه يده محبَّة: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ

---

[48] طه: 122.

تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[49].

وعليه:

فالارتقاء عقلًا ودرايةً مؤسّس على الفضائل الحميدة والقيم الخيّرة؛ وذلك ارتفاعًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحدار والسُّفليَّة، حتى بلوغ ما يُمكّن من إحداث النُّقلة الممكّنة من بلوغ الجنَّة عيشًا رغدًا، ومن هنا وجب عمل العقل عن دراية بالعمل المحقّق للعيش النّعيم، الذي فيه الوفرة:

. تغذي الرّوح نشوة.

. تطمئن النّفس سكينة.

. تخاطب العقل دراية.

. ترضي القلب يقينًا.

. تشبع البدن حاجة.

. تزيد الذّوق رفعةً وارتقاءً.

وعليه: فإنَّ الحياة الدُّنيا دراية عقليَّة إذا ما قورنت بتلك الحياة العليا فهي حياة الحاجات المنقوصة، وحياة الفتن والعداوات التي بدأت أوَّل ما

[49] المائدة: 28 . 30.

بدأت بين الأخوين (ابني آدم)، ثمّ اتّسعت وتكاثرت مع التكاثر فأصبح الصّدام والاقتتال انحدارًا من بعض النَّاس، وفي المقابل يرتقي بعضهم رفعة؛ فآدم الذي خسر ذلك الموقع الرّفيع، أصبح يأمل العودة إليه دراية؛ ولذلك فقد سعى استغفارًا وتوبة أهَّلته لأن يكون نبيًّا ينبئ بما عُلّم به من قِبل خالقه، ومن ثمّ فلا مكان له بعد النبأ العظيم إلّا الجنّة، التي لا تبلغ ارتقاء إلّا بالعمل الصّالح عقلًا ودراية.

ولذلك أصبح العمل ارتقاءً أمل المصلحين السّاعين إلى الكسب الحلال بلا حدود، من أجل العيش الرّغد؛ ولذا فالسّاعون ارتقاء مهما بلغوا من المراتب والقمم فهم يأملون مراتب عظيمة من بعدها قمّة أعظم، ولهذا وجب اتقان العمل إخلاصًا ودرايةً، حتى الارتقاء بالأرض الدّنيا ورتقها في السّماء جنّة.

ومن هنا وجب العمل الممكِّن دراية من بلوغ الأحسن والأرقى، شريطة ألا يكون التحسّن على حساب إشباع حاجات الغير، بل ينبغي أن يكون العمل تُرسًا من تروس عجلة الحياة العامّة؛ ذلك لأنَّ الارتقاء الممكّن من العمل المرضي لا يُمكن أن يتحقّق والغير يتألم؛ ولذلك فالعمل وفقًا لأهداف الحياة ينبغي أن يكون من ورائه غرض خاصّ وهو: إحداث النُّقلة عن درايةٍ، وغرض عام يُحفِّز الآخرين ويدفعهم للرفعة، وإلّا فألم الغير لن يفسح الطريق أمام من يسعى إلى الارتقاء غاية وهو لا يدري.

وعليه: فبنو آدم في دائرة الممكن هم بين متوقَّع الارتقاء عقلًا ودراية، ومتوقَّع الدونيَّة غفلة وشهوة، ومن جهة أخرى هم يتبدّلون؛ إذ لا ثوابت فمنهم من يبقى على الارتقاء، ومنهم من يتخلّى عنه، ومنهم من نراه في دونيَّة، ولكن من بعدها يبلغ القمم ارتقاء؛ ولذلك ينبغي العمل مع بني آدم من حيث هم، من أجل الارتقاء بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه دراية عقليَّة واعية.

ومن ثمّ ينبغي على بني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضًا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والرّفعة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميَّة فضيلةً، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمةً، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار عِلَّة.

إذن: فعلى العقل الآدمي درايةً أنْ يعي بإمكانيَّة بلوغ السّماء ارتقاء كلّما عمل وفقًا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ومأمولات يتم نيلها، ولكن إن أحسّ العقل وهو منفردًا بشيءٍ من التّعب، فعليه بوضع اليدين مع الأيدي صعودًا وارتقاء.

فالارتقاء عقلًا ودراية مثل المعمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة، وفكرة من بعد فكرة، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأمل من بعده مأمول أعظم)، ولكن في المقابل هناك من يهدم المعمار رأسًا على عقب، وهناك من يهدّه لبنة بعد لبنة،

فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيًا، والهادمين له انحدارًا؛ ولأنَّ الخالق خلقنا على الاختلاف فلا بدَّ أن نظل عليه مختلفين: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[50]، ولهذا فالصّراع والصّدام بين أهل العقول والدِّراية وبين أهل الشهوة والتمدُّد على حساب الغير سيظل ساريًا صراعًا بين حقٍّ وباطلٍ.

ولذا فإنَّ الاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة خيّرة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي عقلًا ودرايةً أن تحدّد الأهداف وفقًا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصامًا، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلًا وارتقاءً.

وعليه: فمن أجل الارتقاء قمّة ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن، فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين، ومن ثمَّ يجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظروف دراية وارتقاءً، ومن يضيّعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم، فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة فالنّدم دراية يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف

---

[50] هود: 118، 119.

صائبة، أي: متى ما غلبت الشهوة عقل الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي عقله دراية ارتقاء تذكّر، فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر عمل وأنتج، ومتى ما فكّر درايةً حدّد أهدافًا من ورائها أغراض، وغاية من ورائها مأمول يتم نيله.

إذن: وجب التدبُّر دراية بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين، فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بأهل العقول والدّراية، وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرًا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يُمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم وتوجيهها وفقًا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة، فيخلّصهم من التسوّل إرادةً وعملًا، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة، فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة، والمأمولات قمّةً وارتقاءً.

فرجالات الدّولة عقلًا ودراية هم من لا تأخذهم العصبيّة؛ ذلك لأنَّ العصبيّة مقبرة الذين لا يعلمون، فرجالات الدّولة دراية وارتقاء كلّما حكموا عدلوا، وكلّما قالوا صدقوا، وكلّما عاهدوا أوفوا، وكلّما كَبِروا تواضعوا، أمَّا

المدّعون لذلك فهم مع كلّ هبّة ريح يميلون، وهنا تكمن علّتهم وسُفليّة الدَّولة ودونيَّتها.

فقيام الدّولة ورفعتها ارتقاء لا يكون إلَّا عن عقلٍ ودرايةٍ، ولهذا ينبغي أن يتم استهداف رجالات بعينهم لإدارتها وفقًا لما هم عليه من مكانة ودراية وخبرة وتجربة ومهنيّة، ومع ذلك ينبغي أن يتم اخضاعهم للتقييم قبل أن يتمّ اختيارهم إلى مناصب إداراتها، وكذلك فهم بعد الاختيار يقوّمون كلّما حادوا عن الدّراية قيمًا وفضائلًا؛ وذلك أوَّلًا: بهدف إعادتهم إليها ارتقاءً، وثانيًا: محاسبة من أنحرف منهم عن قيم حَمْل المسئوليَّة التي تم اختيارهم إليها إرادة.

ومن ثمّ فمن يرى نفسه رجل دولة فعليه باختبار نفسه وتقويمها قبل أن يُختبر ويقوّم من قِبل الغير.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنين كرام يدركون أنَّ السّبيل إلى النّجاح هو الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزّم العلاقات، أو يؤدّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعيَّة، أو الوطنيَّة، أو الإنسانيَّة، أو يمسّ معتقدًا دينيًّا، ومع ذلك فهناك من يجهل ويغفل، فيقع في فخّ مصيدة الغاوين والمزيّنين والمضللين، التي تزداد ضيقًا على رقاب من يقع في فخّها كلّما حاول أن يرى نفسه غير مختنقٍ.

ومع أنَّ للألم أوجاعًا، وللتأزّم أوجاعًا، فإنَّ أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم، فآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن

سامحك من أجرمت في حقّه؛ ولذلك وجب الدِّراية وأخذ الحيطة والحذر، حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمَّا الحقد بين بني آدم فهو مثل حطب نار جهنّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي: إنَّ نار الحقد تحرق أوَّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)؛ ولذلك فالحقد يُلهي الحاقد من بني آدم في نفسه، والحاقد في حقيقة أمره في حاجة لمن يطفئ عنه النَّار التي بها نفسه تحترق، ومن ثمّ فمن يعتقد أنَّه إذا تمكّن من عضّ يد أحد وعضّها، فلا شكّ أنَّ عضَّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا فإنَّ الجهل والحقد والظّلم والعدوان والكيد والمكر عندما تشتعل نيرانها بين بني آدم فلا سبيل لهم إلّا التخلّف، والانحدار، والسُّفليَّة المؤلمة، وفي المقابل الشُّعوب دراية ترتقي علمًا ومعرفةً وتسامحًا وخبرةً وتجربةً، فتغزوا الأرض سلامًا، والسّماء بحثًا وارتقاءً.

وعليه: فبنو آدم بلا عقل ولا دراية وبلا أمل لا يعدّون إلّا أمواتًا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله فسيبقون على أملهم وكأنَّهم بلا أمل، أمَّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل فلا شكّ أنَّه سيُسهم في إحداث النُّقلة دراية وارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنَّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس.

وهكذا بلا عقول ولا دراية هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس؛ ولذلك لا ينبغي أن يكون

بنو آدم سماعيّين فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاظًا، وعليهم بالتدبّر تحليلًا وتفسيرًا وتخطيطًا وسلوكًا وعملًا، وعليهم بالتّفكّر دراية من أجل ما يجب حتى يتمكّنوا من الارتقاء من خلال ما يمارسونه من حقوق عن رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسؤوليَّات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

وعليه:

فارتقاء بني آدم مؤسّس على ما أخبرهم وأنبأهم به أبوهم آدم، ومن بُعث من بعده من الأنبياء والرّسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولهذا فهم يأملون العيش في ذلك النّعيم المنبئ عنه؛ ولأجل ذلك فمن آمن منهم وعيًا ودراية يسعى ويعمل من أجله ارتقاء، ومن لم يؤمن ستظل فُرصه على قائمة الانتظار ما بقي حيّا.

فبنو آدم عقلًا ودرايةً من أجل تلك الجنّة التي وُصفت بما وُصفت به من عظمة، يصلّون لله من أجل بلوغها، ويصومون ويزكّون ويتصدّقون ويحجّون ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجل بلوغها؛ ولذلك هم يصلحون أحوالهم ويعفون ويصفحون من أجل بلوغها، ويتعلّمون ويعملون من أجل بلوغها، ومع ذلك فهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكِّن من زيادة الارتقاء قمّة، وخير وسيلة لذلك المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعًا وتمدّدًا.

وهنا أقول لبعض علماء الفيزياء وعلماء الفلك: ما قد تمّ اكتشافه عن الكون من قبلكم قد أخبرنا به القرآن الكريم الذي أنزل قبل أن يفكّر أحد في غزو الفضاء، وقبل أن يتمّ اكتشاف أسرار من الكون؛ ولذا فَلِمَ لا تتوقّفون عند الكتاب لتتبيّنوا قوله لعلكم ترشدون إلى المزيد من الاكتشاف العلمي عقلًا ودرايةً، وإلى ما يُمكّن من الارتقاء من أجل بني آدم (النَّاس جميعًا)، ومن هنا فإن كنتم أهل موضوعيَّة فلا يليق أن تتجاهلوا كتابًا يملأه العلم والبيّنة والدراية؛ فأنا لا أقول لكم: ادخلوا الإسلام، ولكن أقول: أنتم أهل علم، وها هو مصدر ثمين يملأه العلم آية ومن بعدها آيات.

وعليه: فالارتقاء بالنّسبة إلى بني آدم هو: أملٌ قابلٌ لأن يتحقّق ويتمّ بلوغه، ولكنّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلّا بمقارنة بين العُليا والدُّنيا؛ فالعُليا هي السّماء وما فيها من نعيم الجنّة وبقاء الحياة، أمَّا الدُّنيا فهي الأرض وما عليها من مخلوقات وزوال الحياة؛ ولذا فبين هذا وذاك وجد الإنسان نفسه بين التّخيير تارة، والتّسيير تارة أخرى، فالتّخيير (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحًا أو تعمل طالحًا، تَصدُق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء....)، أمَّا التّسيير فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق أو غروب، برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة....).

ولهذا فالارتقاء قمّة يمكّن بني آدم عقلًا ودراية من العيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة) ويمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العليا (الباقية)،

فبنو آدم عقلًا ودرايةً لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة؛ ومن هنا فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء.

إذن: فالإنسان ينبغي أن يعيش والأمل لا يفارقه؛ فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة، فالله خلق أبانا آدم في النّعيم؛ ليعيش وبنوه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزّائلة (الحياة المنقوصة)؛ حيث الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعةً وارتقاءً.

ولسائل أن يسأل:

أيّ حلّ تعني؟

أقول: حلّ أزمة الحياة الدّنيا، التي تتطلّب العمل عقلًا ودراية بهدف النّهوض، وغرض الارتقاء، وغاية بلوغ القمّة (الحياة الباقية)، ثمَّ نيل المأمول جنّة؛ ولهذا فلا ينبغي أن يرضى بنو آدم بالفقر، فالفقر مرض ينبغي القضاء عليه بالعمل المنتج؛ ولذا فلو عمل بنو آدم جميعهم لما وجد الفقر مكانًا له على الأرض، ولأنّهم لا يعملون جميعا فسيظلون فقراء مهما استغنى منهم من استغنى[51].

---

[51] عقيل حسين عقيل، العقل من اللاشيء إلى الشيء دراية، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م/ ص 6 – 27.

ومع أنَّ الاستنارةَ قيدٌ أخلاقيٌّ على المستنير، فإنَّها أيضًا قيدٌ له في ميادين البحث العلمي؛ ومن هنا يختلف مفهوم القيد (على المستنير) عن مفهوم القيد (للمستنير)، فالقيد على المستنير يستوجب خضوعه أو إخضاعه من قبل النّصوص أو من قبل الغير، أمَّا أن تكون الاستنارة قيدًا له؛ فهي الاستنارة القابلة للاستخدام من طرفه وعيًا؛ كونها استنارة معرفة ودراية.

فاتباع الباحث المستنير لخطوات البحث العلمي تتطلّب منه التقصّي للمعلومة وفقًا لقيود قواعد البحث ومناهجه وأساليبه الموضوعيَّة، وهذه مع أنَّها خطوات مقنّنة وبين يديه مَقيَّدةٌ، فإنَّ استنارته العلميَّة قد تُمكّنه من تجاوزها بحثًا إلى بلوغ الخوارق استنارة.

وعليه: بقدر ما تكون الاستنارة قيدًا على العقل تكون هي الممكّنة له من كسر القيد.

والعقلُ في زمن الانتظار غفلة لا يكون إلَّا أميّةً بلا رؤية، أمَّا العقل في الزّمن بلا انتظار صحوة فلا يكون إلَّا دراية واستنارة؛ ذلك أنَّ العقلَ دراية هو تلك الحيويّة المستنيرة وعيًا، وهو الذي يعلم بالشّيء بعد أن كان لا شيئًا مجهولًا، كما أنَّه يعلم الحكمة التي تخفي من ورائها سرًّا.

والعقل دراية واستنارة ليس ذلك العقل الممنهج برؤية تعليميَّة ولا رؤية ثقافيَّة، بل هو ذلك العقل المتجاوز لدائرة الممكن تحدٍّ وخوارق، إنَّه العقل

المكَّن من دخول دائرة المعجز التي تدريك بكل شيء بين البداية والنهاية دون أن ترى أيّ منهما (البداية والنهاية).

ومع أنَّ الاستنارة عمليَّة عقليَّة فإنَّ مَن تمكَّن منها تمكَّن من طي صفحات الأميَّة إلى الأبد، ومع أنَّ الدّراية استنارة لا تُعلّم فإنَّ علومها تُعلَّم؛ فعلى سبيل المثال: دراية النبي محمَّد جعلته على نُقلة من الأميَّة إلى الدّراية التَّامة، أي: إنَّ ذلك النّبي الأمّي بعد أن أعلمه الله بالمعجزات أصبح نبيًّا يعلم ما لم يعلمه غيره، ومن هنا أصبح محمَّدٌ نبيًّا ومعلّمًا يعلم ويعلِّم غيره ما أُنبأ به إنباءً، وهو المعجز الذي لا يبلغه البشر إلَّا بأمر من العليم الحكيم.

ولذا فالأميّ هو الذي لا يدري ولا يعلم بما لم يُعْلِم به، والنّبي الأميّ هو محمَّد الذي لم يدرِ ولا يعلم بأمر الرِّسالة التي كُلِّفَ بها قبل تنزيلها عليه تنزيلًا؛ ومن ثمَّ فالذي لا يعلم بالشَّيء لن يكون له من الشيء شيئًا به يدري، أمَّا الذي يَعلَم فإنَّه يُعلِم بما أُعلِم به ويُعلِّمه لمن هم لا يعرفونه ولا يدرون.

ومع أنَّ اللُّغويين كما جاء في لسان العرب قد عرَّفوا الأميّ أنَّه: "المنْسُوب إلى ما عليه جَبَلَتْه أُمُّه، أي: لا يَكتُبُ، فهو لأَنَّه لا يَكتُب أميّ؛ لأن الكِتابة مُكْتسَبَةٌ؛ فكأَنه نُسِب إلى ما يُولد عليه، أي: على ما وَلَدَته أُمُّهُ عليه"[52]، فإنَّنا نرى في المقابل أنَّ الأميَّ ليس كذلك، بل هو مَن لا

52 لسان العرب، ج 12، ص 22.

دراية له بما لا يُعلم به، ومن هنا فلا علاقة بين الأمّي وعدم معرفة القراءة والكتابة، فهذه العلاقة لا تكون إلّا بين الجهل والتعلّم، أو بين التّيه والمعرفة، أمَّا الأميّة فليس لها علاقة إلّا بعدم الدِّراية والاستنارة؛ ومع ذلك فإنَّها حالة غير دائمة وهي قابلة للإزالة من الجميع في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

وعليه: فالعقل من حيث ملكاته هو العقل، سواء أكان في زمن الانتظار أميَّةً، أم أنَّه في زمن السِّباق صحوة (العقل هو العقل)، ولكنَّ الدّراية استنارة في زمن السِّباق صحوة اختلفت عمَّا كانت عليه في زمن الانتظار أميَّةً؛ ذلك أنَّ الدّراية لا تكون إلَّا استنارة وقد قدحت بنورها في عقل من تمّ اصطفاؤه للأميين نبيًّا.

والأميين هنا ليس كما يظن البعض من النَّاس أنَّهم أمَّة العرب فقط، بل هم كل الذين لم يعلموا من الرِّسالة الخاتمة إلَّا أنَّها رسالة وستنزَّل على نبيٍّ اسمه أحمد.

ومن هنا نعرف أنَّ الأميَّة كانت على العقل قيدًا وقد كُسرت بالرِّسالة الخاتمة بعد أن أدرى الله بها محمَّدًا -عليه الصَّلاة والسَّلام، واستناره بها معجزةً وحكمةً، وهو النَّبي الذي جاء داريًا بها وللنَّاس كافة مبشّرًا ونذيرًا.

ومن هنا فالعقل أميَّة كان عقلًا بشريًّا عصبيّةً ورغبةً وشهوةً، أمَّا العقل بعد أن استنار أصبح عقلًا إنسانيًّا وعلى الدِّراية عدالة ومودّة ورحمة.

ومع أنَّ العقل فيه من الأميَّة ما فيه فطرة وشهوة، وله من الدِّراية ما له استنارة وحكمة، فإنَّه في كلتا الحالتين مقيّدٌ؛ ولذا فهو في زمن قيد الانتظار أميَّةً معفو عنه فيما ارتكبه بلا دراية، أمَّا في زمن الصّحوة استنارة فقيوده دراية قد كثرت[53].

النُّهوضُ استنارةُ رفعة وسِّيادة:

مع أنَّ الاستنارة عقليَّة ونفسيَّة وفكريَّة، فإنَّه لا قيمة لها إن لم تمتد قيمًا، حتى يتمّ تجسيدها في الأفعال والأعمال، وبها تدار الحياة سيادة، حتى يتمدّد المواطن بحيويَّتها إلى النِّهاية دون أن يتمدَّد أحدٌ على حسابِ حقوقهِ وواجباتهِ ومسئوليَّاتهِ؛ ومن ثمَّ يُصبح المواطن راية الوطن التي يستظل جميعُ المواطنين بها.

وعندما تسود السِّيادة الوطنيَّة يُصبح الشَّعب تحت راية الوطن دستورًا منظمنًا للعلاقات وضابطًا لها، وليس هكذا عبثًا تحت رحمة السُّلطان وتحت رحمة الحكومة؛ مما يجعله قادرًا على اتخاذ قراراته بلا ضغوطٍ، وقادرًا على تنفيذها نُقلة من أجل الوطن؛ وعيًا ودرايةً وإرادةً ومسئوليَّةً، ولا مخاوف.

ولأنَّها السّيادة؛ فبسيادتها بين النَّاس هويَّةً يستقرُّ الشَّعب وينهضُ وعيًا ودرايةً واستنارة، ويستقر النِّظام وتنهض الدِّيمقراطيَّة سلوكًا وممارسةً، وتستقرُّ الدَّولة وتنهض بناءً وإعمارًا، وفي المقابل إذا انكسرت السِّيادة بأيَّة

[53] عقيل حسين عقيل، العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2022م، ص 8 – 70.

علَّة فلا استقرارَ، ولا ديمقراطيَّةَ، ولا أمنَ، ولا نهضةَ؛ ولذا فلا قيمة لأيِّة دولة ما لم تكن السِّيادة فيها رفعةَ شأنٍ عند مواطنيها وعند الغير.

ومع أنَّ لمفهوم السِّيادة دلالةً ومعنًى نظريًّا، فإنَّ التغنِّي بها وبمفهومها النَّظري لا يعني شيئًا ذا قيمة ما لم تُصبح السِّيادة الوطنيَّة فيها وفقًا للآتي:

. دستورًا (عقدًا بين الشَّعب) على الكبيرة الصَّغيرة؛ من أجل ممارسة الحريَّة بأسلوب ديمقراطي (استفتاء وانتخابًا).

. امتلاك الإرادة؛ إذ لا تغييبَ، ولا تهميشَ، ولا إقصاءَ، ولا وإكراهَ.

. ترسيخ الهويَّة؛ كونها العنوان العام لكلِّ المواطنين بمختلف ألوان طيفهم عِرقًا، ودينًا، وعرفًا.

. ترسيخ الكرامة؛ كونها قيمة الإنسان اعترافًا وتقديرًا واحترامًا.

. ممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمل المسئوليَّات قرارًا وتنفيذًا ورقابة وتقويمًا.

وعليه: فإنَّ كثيرًا من الأشياء يُمكن أن تستبدل أو تباع أو تشترى إلَّا السِّيادة، التي إنْ ضاعت ضاعت الهويَّة معها، وهكذا كل شيء يمكن استبداله بغيره إلَّا الوطن فإنْ ضاع فلن تَجِدَ له سوقًا لتشتريه.

وكثيرٌ من الأشياء بعللِ الضَّرورة أو الحاجة يمكن الاستغناء عنها إلَّا السِّيادة؛ فهي ترتبط بالكرامة والمصير الذي يرسِّخ قيمة الإنسان، والذي متى ما فُقد فقدت الكرامة معه.

ومع أنَّ السِّيادة إنْ فُقدتْ فلا أسواقَ لها ولا بديلَ، فإنَّ استردادها في دائرة الممكن ليس بمستحيلٍ، ولكنَّ ثمنَ الاسترداد ليس هينًا؛ فالسِّيادة إنْ ضاعت لا تردَّها إلَّا التضحيات.

ومع أنَّ لاستردادِ السِّيادة الوطنيَّة قيمةً فإنَّه لا سيادة إلا بامتلاك الإرادة الوطنيَّة التي تعني: امتلاك الشَّعب لزمام أمره؛ حيث ينتفي الإكراه والتَّوجيه وفقًا لمسار سياسات وأفكار خاصَّة، أو شخوصٍ بعينهم.

ولهذا يُعَدُّ امتلاك الإرادة امتلاك حريَّة اتخاذ القرار الممكِّن من تحقيق مصلحة الوطن العليا مع قبول تحدي الصِّعاب؛ من أجل ترسيخ السِّيادة الوطنيَّة، وفي المقابل فقدان الإرادة يلغي كل ما من شأنه أن يجعلَ الشَّعب حرًّا ذا سيادة.

ومن هنا، في دائرة المتوقَّع لا استغراب أن تسترد السِّيادة المسلوبة إذا امتلك الشَّعب إرادته بعد أن سُلبت منه تحت ظروف استثنائيَّة، ومن ثمَّ فالقوى التي تظن أنَّها قد قضت على إرادة الشَّعب فستفاجأ بما لم تكن تتوقَّعه، مما يجعل التخويف بالموت والتلويح به هو وحده المشجع على حب الموت، والمطالبة به، والإقدام عليه من أجل السِّيادة.

وعليه: فمن أجل استرداد السِّيادة الوطنيَّة ستلاحق الشُّعوب الموت أينما كان حتى لا يلاحقهم حيثما يكونوا؛ كونهم واثقين أنَّ الموت لا يخيف، بل الاستسلام للقتلة وحده المخيف، مع إيمانهم التَّام أنَّ الموت لا يأتي إلَّا مرَّة واحدة، ولا يتكرر أبدًا، كما أنَّهم يؤمنون أنَّ من يطلب الموت

دفاعًا عن الدِّين والشَّرف وسيادة الوطن تكتب له الحياة الدَّائمة التي لا موت مِنْ بعدها.

ومن ثم، فالجبناء وحدهم لا ينعمون في الحياة الدنيا، ولن ينعموا بالحياة الباقية؛ ولهذا دائمًا الخوفُ رحمةٌ، والجبنُ عارٌ.

ولذا فإنَّ الشُّعوب التي تطلب الموت من أجل الحياة قادرة على استرداد السِّيادة الوطنيَّة متى ما سلبت منها بغير حقٍّ، ولكن: أي إرادة يمكن بها أن تسترد السّيادة؟

إنَّها الإرادة المستقلة (غير التَّابعة) التي تجعل من مالكيها لاعبين أساسيين في المشهد الوطني، وليسوا دُمًا بأيدي الغير.

وعليه: عندما تُفقد الإرادة الوطنيَّة لا يمكن أن يكون للوطن سيادة؛ فالوطن الذي تستباح حدوده لا يمكن لأهله أن يقال عنهم: إنَّهم سادة.

فليبيا على سبيل المثال: بعد 17 من فبراير 2011م أَسْقَطَتْ العقيدَ معمر القذافي ونظامَه، ثمَّ من بعده سَقَطَتْ الدَّولة برمَّتها، وبالتَّالي أصبح في ليبيا حكومتان متخالفتان، ومجلسا نوابٍ متخالفان، وجيشان يتقاتلان، وعدد كبير من الكتائب والمليشيات المسلَّحة الموازية لكل المؤسَّسات العسكريَّة والضبطيَّة والأمنيَّة التي هي الأخرى متوازية خلافًا بين شرق وغربٍ وجنوبٍ؛ فهذه الدَّولة وما يمكن أن يكون على مثلها هل يمكن أن توصف بأنَّها دولة ذات سيادة؟

دولة فُرِض على شعبها مجلسٌ رئاسيٌّ برؤيةٍ واختيارٍ أجنبيٍّ كما جرى بالتمام تحت إشراف المبعوث الأممي (مارتن كوبلر) مبعوث الأمم المتحدة إلى ليبيا؛ وذلك بعد لقاءات أجراها في مدينة الصُّخيرات المغربية بتاريخ 17 من ديسمبر 2015م؛ حيث اجتمع بمجموعة من الليبيين الذين فُرِزُوا برغبةٍ واختيارٍ أجنبيٍّ، وليس برغبةٍ واختيارٍ ليبيٍّ؛ إنَّه المجلس الرِّئاسي الليبي الذي لم ينتخبه الليبيون، ومع هذا أصبح ذلك المجلس كما يمثل الليبيين في الداخل يمثلهم في المحافل الدوليَّة أيضًا، مجلسٌ هذا حاله، فهل يمكن له أن يكون خيرَ ممثلٍ للسِّيادة الوطنيَّة؟!!

وكذلك تمَّ اختيار مجلسٍ رئاسيٍّ ورئيس حكومة بعد ذلك المجلس المنتهي الصَّلاحيَّة، فهذا المجلس ورئيس حكومته قد تم انتخابهم يوم 5 من فبراير 2021م بمدينة جنيف السويسريَّة من قِبَل 75 شخصًا ليبيًّا، ومع أنَّ الخمسة والسّبعين (75) ليبيون فإنَّ اختيارهم جميعًا لم يتم من قِبَل الليبيين رغبةً وإرادةً، بل تم اختيارهم جميعًا من قِبَل الأجانب، وعلى رأس مَنْ انتخبهم نائبة المبعوث الأممي لليبيا: (ستيفاني وليامز) الأمريكيَّة؛ ولذا فالذين تم انتخابهم للمجلس الرِّئاسي البديل والحكومة البديلة على الرَّغم من أنَّهم لا يمثلون الإرادة الليبيَّة والرَّغبة الليبيَّة، فإنَّهم بلا شكٍّ سيكونون الممثلين لليبيا في جميع المحافل الدّوليّة، ومن ثمَّ أقول: أين السيادة الوطنيَّة الليبيَّة؟!!

ولأنَّ الْمُخْرِجَ الأجنبي (ستيفاني وليامز) تريد أن تُبعد عنها تهمة اللاديمقراطيَّة فبعد أن اختارت (75) ليبيًّا مع فقدان شخص منهم بعد موته من إصابة كورونا 19، حيث أصبح العدد المشارك في الانتخابات 74 شخصًا، وهم الذين من قِبلهم تمَّ انتخاب المجلس الرّئاسي البديل وانتخاب رئيسٍ للحكومة، بعد ذلك قرَّرتْ (ستيفاني وليامز) من خلال 74 شخصًا: (أن يتمّ عرض المنتخبين على مجلس النَّواب الليبي؛ لاعتمادهم والتصديق على اختيارهم وبكل شفافيَّة)، ثمَّ أقرَّت قرارًا آخرَ ملزمًا: (إنْ لم يتمَّ الاعتماد من قِبل مجلس النُّواب الليبي المنتهي الصَّلاحيَّة- كونه المنتخب لسنة واحدة فقط وما زال مستمرًّا في عامه السَّابع حتى الآن- يعاد عَرْض المنتخبين من قِبل الأربعة والسبعين (74) إلى الأربعة والسبعين(74) أنفسهم؛ لاعتمادهم والمصادقة على انتخابهم) فيا لها من ديمقراطيَّة وشفافيَّة!!!، ومن هنا، فهل يمكن لنا أنْ نصف هذه اللعبة الدِّيمقراطيَّة بلعبة ترسيخ الشَّفافيَّة لسيادة الليبيين؟!!

وعليه: فمن لا يُنتخب من قِبل الشّعب وإن ادّعى بما شاء له أنْ يدَّعيه فلا يمكن له أن يكون ممثِّلًا لسيادة الشَّعب والدَّولة، وهنا بالتمام تكمن العلَّة التي لا تنفكُّ إلا باسترداد السِّيادة الوطنيَّة، والتي لا تكون إلَّا عن رغبة وإرادة مع وافر الاستنارة؛ حيث لا إكراه.

ومن هنا سيظل أمر السِّيادة في خبر كان إلى أن تُسترد بعد أن تُطوى صفحات الاختيار والانتخاب بالرَّغبة الأجنبيَّة كرهًا؛ فالشَّعب الذي حُكم

ولا رأي له في مَن نُصِّب عليه حاكمًا تحت مظلة الأجنبي فبرفضه وقبوله التحدِّي مع قبول دفع الثَّمن يستطيع أن يسترد سيادته ويكون حاكمًا ولا رأيَ ولا قرارَ إلَّا بيده.

ومن ثم لا حوار وطني، ولا مصالحة وطنية، ولا أمن سياسي واقتصادي واجتماعي من دون إرادة وسيادة وطنيّة مستنيرة؛ ولهذا وجب استرداد السِّيادة التي تقسَّمت بين مجلس نواب ومجلس دولة ومجلس رئاسي، وكلها هياكل منتهية الصلاحيَّة، وليس لها وحدة رأي أو قرار.

وعليه: فإنَّ السِّيادة الوطنيَّة عنوان الشَّعب الذي له دولة مستقلَّة ذات سيادة على ترابها وقرارها، ولها جيشها الوطني ومؤسَّساتها الوطنيَّة التي لا تتبع الغير، ولا سلطان عليها بغير حقٍّ، سواء أكان من الدَّاخل أم من الخارج، أي: لا يعلو على سيادتها أي كيانٍ سياسيٍّ أو اجتماعي، وبالتالي: السِّيادة الوطنيَّة عندما تكون إدارتها عن دراية واستنارة فلا تستثني من الشَّعب أحدًا، سواء أكان فردًا أم جماعةً، وهي واحدة لا تتجزأ وغير قابلة للتصرُّف فيها، ولا يُتَنَازَلُ عنها أبدًا، حتى وإن نُزعت بعلَّة من العلل، فالعلَّة لا بدَّ أن تزول، والسِّيادة لا بدَّ أن تسترد عن وعيٍ واستنارةٍ.

ولأنَّ هذا القرن الواحد والعشرين هو عصر الدَّولة الوطنيَّة فلا إمكانيَّة لعودة رؤى العصور الوسطى التي كانت لا ترى سيادة إلَّا لمن يندرجون تحت عنوان الكنيسة؛ حيث بقيت هذه الرُّؤية سائدة إلى أن جاء عصر اليقظة الذي تزعمه المفكِّر الفرنسي (جان بودان) عام 1576م بقوله:

(السِّيادة هي السُّلطة العليا التي يخضع لها جميع المواطنين وهي التي تعمل القانون)، أي: إنَّه جعل أمر السِّيادة متعلِّقًا بالمواطنة، وليس بالدين؛ ولهذا دائمًا كلُّ من يحاول أن يربط مفهوم السِّيادة بالأديان ليس له إلّا الفشل، لأنَّ الدين لله، والله -جل جلاله- ربّ الكل، ولا إمكانيَّة لسيادة شعب على شعب أو دولة على دولة، والشَّعب يمتلك إرادته الحرَّة.

ولهذا فالأوطان التي تؤسَّس عن إرادة تكون ذات سيادة، أمَّا الأوطان التي تُرغم شعوبها المختلفة على الانصهار وفقًا لرؤية عقائديّة فليس لها إلَّا التفكك والانقسام، وانطلاقًا من هذه المعطيات فليبيا في دائرة الممكن لن تُقَسَّم؛ كونها ثقافة واحدة، ودينًا واحدًا، وعلاقات اجتماعيَّة متداخلة النسيج والمخاطر تحوطها من كل جانب دون أن تفرّق، وتاريخًا فإن لها رمزًا وطنيًّا يتغنى به كل الليبيين اعتزازًا وهو الشَّيخ الشهيد (عمر المختار)، الذي كان جِهادهُ من أجل السِّيادة الليبية فقطع الطريق أمام كل من يأتي من بعده مدعيًا أنّه رمزٌ لسيادة الليبيين، وهذا لا يعني ألَّا تأتي الرّموز من بعده، بل الرّموز سيادة من بعده لا تأتي إلَّا سيادة شعب بأكمله.

ولذا فمن أجل استرداد السّيادة الوطنيّة فإن من حقّ الشُّعوب أن تقرر نظام دولها، وألوان راياتها، وأناشيدها الوطنيّة، وعليهم أن يختاروا إرادةً أيَّ نوع من أنواع الإدارة يفضّلون؛ بغاية تخلّصهم من المركزيّة المقيتة، وتمكّنهم من السّيادة على أرضهم، وسيطرتهم على مقدّراتهم، وتؤهّلهم إلى قبول التحدّي؛ من أجل صناعة المستقبل المأمول وطنيًّا وحضاريًّا (قيم

حميدة، وعلم متقدّم، وتقنية عالية الجودة، وبيئة صحيّة خالية من الآفات)؛ لتكون دولهم ذات سيادة وطنيّة؛ تعرف ما لها وما عليها، ويكون مسئولوها قادرين على التمييز بين ما يجب الإقدام عليه وما يجب الإحجام عنه، ومن ثم تصبح الإرادة فيها: إرادة شعب ودولة وحكومة، ولكل صلاحيّاته واختصاصاته ومسئوليّاته وحقوقه وواجباته الدستوريّة والقانونيّة، وإلّا ستظل الدّول تتبدّل بين انتكاسة وأخرى، والشّعب ضحيَّة بين هذا وذاك بلا سيادة.

وعليه فإنَّ السّيادة الوطنيّة سيادة إرادة، وليست نتاج قرارات فوقيّة يتخذها السَّاسة الذين تميل ولاءاتهم إلى الأحزاب المنتمين إليها على حساب مصلحة الوطن وولائهم إليه؛ ولذا فالسّيادة الوطنيّة رفعة منزلة وهي الصّفة القانونيّة الملازمة لصفة الدّولة، والتي متى ما زالت عنها هذه الصفة زالت.

ومن ثم علينا أن نميِّز بين السِّيادة الوطنيِّة والسِّيادة السِّياسية؛ فسيادة الوطن سيادة الشَّعب، أمَّا السِّيادة السِّياسية فهي سيادة الحاكم في شخصه أو سيادة الحكومة التي تكون في كثير من الأحيان تحت ضغوط لا تجعل لديها إرادة حرّة، سواء أكانت ضغوطًا داخليَّة أم خارجيَّة؛ ولذا فلا قرار وطني من دون سيادة وطنيّة وشعبها على الدراية والاستنارة.

ومن هنا عندما تنفلت الإرادة السِّياسية عن السّيادة الوطنيَّة فإنها تضعفها وتعطّلها، وقد تنقلب عليها وتكون على حسابها وهذا بالتمام ما يجري في معظم بلداننا وأوطاننا، ويا ليته لم يجرِ ولا يتكرر.

وعليه: فإنَّ تحقيق السّيادة الوطنيّة الليبيّة في ظل وضعها المُدَوَّل أمرٌ صّعبٌ، ولكنّه لن يكون مستحيلًا إذا امتلك الليبيون إرادتهم الحرّة، وانفكوا من التبعيَّة؛ سواء أكانت إقليميَّة أم دوليَّة، ثمّ انفكوا من قادة الفوضى الذين سادوا عليهم بقوَّة السَّلاح كرهًا، وهذا الأمر هو الآخر ليس هيّنًا ما لم يتوحّد الجيش على مبادئ سيادة الوطن لا على سيادة من يمتلك السِّلاح ويسطو على السّلطة سطوًا.

إذن: لا إمكانيَّة للسّيادة الوطنيّة في ظل مليشيات تمتلك السِّلاح، وتمتلك المال، وتهيمن على السُّلطة في البلاد مع مساندة من قوى إقليميّة ودوليّة، مع العلم أنَّ هذه القوى السّائدة على حساب سيادة الوطن ستعمل كل ما في وسعها لإعاقة إي اتفاق توافقي بين الليبيين أو على الأقل تعطيله؛ ذلك لأنَّ اتفاق الليبيين يعني نهاية المتغوِّلين على حساب سيادتهم وإزاحتهم من المشهد، وهذا الأمر بالنسبة إليهم أمر حياة أو موت؛ ولذا فلا سيادة لوطن تسود فيه المليشيات والكتائب المسلّحة، ولا إمكانيّة لاسترداد السّيادة بما أنَّ المليشيات ما زالت متغوِّلة.

وهكذا الحال في بلاد اليمن التي سادت فيها الفوضى حتى كسرت سيادة اليمنيين كما كسرت الفوضى سيادة الليبيين والسّوريين والصّوماليين

والعراقيين، ومن ثمَّ أصبح الجيش اليمني منقسمًا، والكتائب المسلّحة منقسمة، والمليشيات تمتلك السّلاح ولا مرجعيّة لها إلَّا رؤوس عصاباتها، والثّائرون على المظالم لم يتمكّنوا من حسم الصّراع، والحكومة اليمنية قراراتها لا تنفّذ يمنيًّا وإن قَبِلَ البعض بها.

في بلاد اليمن الجرح عميقٌ جدًّا؛ حوثيون ثاروا على المنظومة السَّابقة، والدَّعم يأتي إليهم من الخارج، وحكومة باسم اليمن لا تستطيع أن تقف على قدميها في بلاد اليمن على الرَّغم من الدَّعم والمساندة الإقليميّة والدّوليّة، وبنوك الدّم بين هذا وذاك تطالب بالمزيد، ورائحة الموتى في أنوف كل اليمنيين، وكل فريق يصف موتاه بالشُّهداء، وفي المقابل يصف موتى الفريق الآخر بأنَّهم من أهل النَّار، يمني يقتل يمني، وليبي يقتل ليبي، وسوري يقتل سوري، وعراقي يقتل عراقي، ولبناني يقتل لبناني، وجميعهم أخوة يتقاتلون، وكل فريق يدَّعي الشهادة لموتاه؛ وكأنَّ الشهادة في دولنا فرضت بغاية قتل الأخ لأخيه.

ومن هنا فأمر حسم الصّراع في بلاد اليمن لا يمكن أن يكون إلَّا بثمنٍ آنٍ، وثمنٍ لاحقٍ؛ فالثّمن الآني: لا إمكانيَّة لحسم الصِّراع يمنيًّا وإن رغب اليمنيون؛ ذلك لأنَّ قضية اليمن مدوَّلة، وإلَّا ماذا يعني المبعوث الأممي إلى اليمن؟ يعني: لا إمكانيَّة لحلٍّ في بلاد اليمن من دون قرارٍ دوليٍّ من الأمم المتحدة، وهنا حالها كحال ليبيا وسوريا، ومن قبلهما العراق والصُّومال.

أمَّا الثَّمن اللاحق: فهي تلك الخطةُ الملعونةُ والمستهدِفة إضعاف العرب وفقًا لقاعدة: (فرق تسد)؛ فالعرب كونهم أمَّة لها تاريخ فهم أمَّة مُخيفة؛ إذ صنعوا الحضارات منذ زمن عاد، وثمود، ودولة سبأ، وحضارة الأهرامات، وحدائق بابل المعلقة، وحضارة الأندلس، وفوق ذلك إنَّهم أمَّة ولها دين جعل منهم أمَّة لا تركع ولا تسجد إلَّا لله، وشعارهم: (الله أكبر)؛ ولأنَّهم أمَّة تقبل الجوع ولا تقبل بكسر الكرامة والسِّيادة فعبر التَّاريخ والخطة الملعونة: (فرق تسد) تلاحقهم، حتى كسروها وفتَّتوا وحدتها وجعلوها شعوبًا ودولًا، ومع ذلك ما يزالون يلاحَقُون؛ خوفًا من أن تلتئم الشُّعوب وتعود الحضارة التي سيكون عنوانها: العرب (الأمَّةُ والدِّين).

ولذا فإنَّ اليمن هي البوابة الرَّئيسة التي إن حُسم الصِّراع فيها مغالبة ستكون أرض الخليجِ كلُّها مباحةً لكسر سيادات الشُّعوب فيها، وبقراءة خريطة العرب يلاحظ أنَّ الخطة الملعونة: (فرِّق تسد) مركَّزة على إيقاد نيران الفتن بين المكوِّنات الاجتماعيَّة والجهويَّة في المغرب العربي، ومركزة على قلب العروبة مصر مسلمين ومسيحيين، والسُّودان قُسِّمَ، ومع ذلك هناك استهداف لمزيدٍ من التقسيمِ، أمَّا الخليج والشَّام الكبير فإنَّ التركيز على إيقاد نار الفتنة بين السُّنَّة والشِّيعة، والمسلمين والمسيحيين، والعرب والأكراد، ومع أنَّ الخطة الملعونة مستهدِفَة استخدام إيران في دعم الشِّيعة على حساب أهل السُّنة أينما كانوا، وفي بلدان الخليج على وجه

الخصوص؛ فإنَّ إيران هي الأخرى مستهدَفة مثلها مثل العرب؛ أمَّة ولا بدَّ أن تكسر.

ومع أنَّ الأمَّتين مستهدفتين بالكسر وعدم النُّهوض الحضاري فإنَّ الأمَّة الفارسيَّة متيقظة بالخطورة؛ ولهذا فهي تعمل، وقد بلغت من إنتاج السِّلاح ما يخيف الخصم، ومن ثمَّ فأهل الغرب (أوروبا وأمريكا) يميلون إلى التفاوض معها؛ بغاية إحداث التوازن في المنطقة؛ ذلك لأنَّهم يعرفون قيمة الخسارة إن لم يُفَاوِضُوهَا وهم معترفون بها قوّة.

إذن: إيران إن لم يتم استيعابها فستشكل خطرًا على الخصم الموجود في المنطقة، عربٍ وغير عربٍ، وأهل الخطة الملعونة يعرفون ذلك ويقفون دونه تفاوضًا، وفي المقابل يعملون ما في وسعهم على ألا يتصالح العرب مع الإيرانيين؛ لأنَّ أهل الخطة: (فرِّق تسد) لا يرون العرب والإيرانيين إلَّا فخارًا يجب أن يُكَسِّرَ بعضُه بعضًا.

ولأنَّه الثَّمن اللاحق كما سبق تِبْيَانُهُ فاليمن إذا حُسم الصِّراع فيها مغالبة فستكون المملكة العربيَّة السُّعودية في المرمى، والبحرين في المرمى، والكويت في المرمى؛ ذلك لأنَّ دول الخليج بلا شكٍّ ستصبح بين فكي الفارسيَّة الشيعيَّة وَمَن يواليها من العراق شمالًا ومن اليمن جنوبًا، وهذا لا يتم إلَّا بنظرة المتوقّع، أمَّا بنظرة غير المتوقّع فكل شيء متوقّع.

ومع أنَّ أهل الغرب مواقفهم تتبدَّل مصلحةً ولا ثوابت من أجلها، فإنَّ فكرة: (فرّق تسد) عندهم ثابتة؛ ولذا وإن اختلف الرّئيسان (ترامب

وبايدن) فإنَّ السياسة الأمريكيَّة في زمن الرَّئيس السَّابق ترامب لن تختلف عنها في زمن الرّئيس الحالي بايدن تجاه تلك الفكرة: (العرب أمَّة مخيفة، ولا إمكانيَّة للتخلّص منهم جملة واحدة، وأنَّ الإيرانيين أصبحوا أمَّة مخيفة، ومن ثمَّ فليس لنا إلَّا إيقاد نيران الفتنة بينهم).

ومع أنَّ الخلاف يبدو ظاهرًا بين الإيرانيين والغرب فإنَّ باطن التَّاريخ لا يبعد إيران عن سياسات أهل الغرب، ومن هنا قد تتبدَّل المواقف تجاه إيران ولكنَّها لن تتبدل تجاه تلك الفكرة.

وعليه: فإنَّ ظهور الحوثيين قوّة في منطقة الخليج يستوجب قراءة موضوعيَّة؛ كونهم يمنيُّون وليسوا إيرانيين وإن تمذهبوا على مذهبها أو ما يشابهه، فظهور الحوثيون قوّة لا شكّ أنَّه سيبعث عصبيَّة الحيويَّة المذهبيَّة في كل أهل الشِّيعة في منطقة الخليج، ومن هنا فالعنوان الذي أُطلق على ثورات الرَّبيع العربي سيأخذ حيويَّته في أنظمة دول الخليج بحيويَّة أهل الشِّيعة.

ولذا فمع أنَّ مؤشّرات إدارة الرَّئيس جو بايدن تشير تجاه إمكانيّة إيجاد تفاهمات ومفاوضات سلميّة بين أهل اليمن بمختلف ألوان طيفهم من جهة والمملكة العربيَّة السعوديَّة والإمارات من جهة أخرى، فإنَّ أهل تلك الفكرة الملعونة سيطيلون زمنَ التفاوضِ إلى أن يتبيَّن لهم مخرجٌ بأقل الخسائر، أو أن يكسبوا مواليين من بين الصُّفوف المتقاتلة حاليًا في اليمن؛

إنَّه اليمن الذي فقد السَّعادة بعد أن كان سعيدًا، ويا ليته يستعيد سعادته سيادةً وطنيَّةً.

إذن: يا ليت أهل اليمن يتوافقون قبل أن يُحسم الأمر مغالبة، وقبل أن ينحاز الأجنبي إلى طرف على حساب وجود طرفٍ آخر، ومع ذلك فإنْ حدثت المغالبة يا ليتها تكون من أجل وحدة اليمن دولة من الحدود إلى الحدود، وقبل أن يفكِّر أحدٌ ويتمدَّد على حساب حرِّيَّات الآخرين أو على حساب سيادة أوطانهم.

ومع أنَّنا ضدَّ المغالبة بشكلها المطلق فإنَّنا بالمطلق مع مغالبة الحقِّ للباطل، ومع أنَّنا نأمل أنْ يُحسم الخلاف توافقًا ومصالحة بين اليمنيين، فإنَّنا نعرف أنَّه لا حلَّ للمشكل المدوَّل إلَّا بما يرضي أهل تلك الفكرة الملعونة: (فرق تسد)؛ ولذا وللأسف الشديد فأيّ حلّ لا يرضيهم لا يعدُّ إلَّا وقودًا لإدارة عجلة الفوضى في بلاد اليمن كما هو وقودٌ لإدارتها في ليبيا والعراق وسوريا ولبنان والصُّومال.

وعليه: كلّما سادت الفوضى في دولنا ساد رؤوسها فوضى، وسادت مصلحة الأجنبي من خلفهم على حساب مصلحة شعوبنا وسيادتنا، ومن هنا تنشط الطَّائفيَّة في لبنان الذي لن تُستعاد سيادته ما لم تطوَ صفحات الطَّائفيَّة والتحاصص الطَّائفي الذي ساد على حساب سيادة اللبنانيين ومصالحهم.

وهكذا بالتمام الحال في سوريا التي انكسرت سيادتها على أيدي أبنائها اقتتالًا؛ ولذا فلا إمكانيَّة لعودة السِّيادة الوطنيَّة في سوريا ما لم تطوَ صفحات الاقتتال وصفحات احتكار السُّلطة، التي يجب أن تطوى في كل الدِّول بغاية استرداد السِّيادة الوطنيَّة، التي إنْ لم تُسترد فلا إمكانيَّة لنهاية الصِّراع والاقتتال حتى وإن توقَّف الاقتتال مؤقَّتًا تحت أيِّ ضغط من الضُّغوط الإقليميَّة والدّوليَّة.

وعليه: فلا سيادة لأيّة دولة شعبها يتقاتل، أو يتربَّص بعضه ببعض تحت أيّ عنوان من العناوين الحزبيَّة المتأدلجة، أو الطبقيَّة المقللة لشأن البعض من النَّاس، أو الطائفيَّة والقبليَّة التي تتمركز حيويَّتهما على العصبيّة وإن اختلفت كيفيَّةً وأسلوبًا؛ ولذا فأيّة دولة تسيطر عليها هذه العناوين هي فاقدة للسِّيادة الوطنيَّة التي تستوجب الاسترداد بطي كل الصَّفحات التي فُتحت على حساب صفحة الوطن وسيادة شعبه.

وإذا نظرنا إلى خريطة العراق نلحظ أن الدَّولة ذات سيادة، ولكن إنْ عبرنا الحدود ودخلنا بغداد فنلحظ أنَّ البعض متربص بالبعض؛ سنَّةً وشيعةً، وعربًا وأكرادًا، وديانات أخرى وأعراق متعدِّدة الصِّفات، وولاءات بعضها داخلي وبعضها خارجي، والكل لم يرضه الآخر، مما جعل حيويَّة السِّيادة الوطنيَّة العراقيَّة بين هذا وذاك في مهب الرِّيح؛ ولذا فإنْ أراد العراقيُّون استرداد سيادتهم الوطنيَّة كرامةً وهويَّةً فعليهم بطي هذه الصَّفحات، وفتح صفحة الوطن الذي فيه الحقوق تمارس، والواجبات

تؤدّى، والمسئوليَّات تحمل، ولا إقصاء ولا عزل سياسي، ولا تغييب مع وافر الاحترام لحريّة الاستقرار والتنقل، مع ضمان حريّة التملك بلا استغلال، ومن ثم فلا ضابط للتداول السّلمي على السُّلطة، ولا ضابط للعلاقات بين الشَّعب إلَّا الدُّستور المستمدّ سيادة من الشَّعب العراقي.

ولسائل أن يسأل:

وكيف حال تونس رأس حربة الرَّبيع العربي؟

أقول:

مع أنَّ تونس بعد ثورتها في دائرة غير المتوقَّع قد فاجأت أصحاب الفكرة الملعونة وضربت مثالًا لممارسة الحريَّة بأسلوب ديمقراطي، فإنَّ أصحاب تلك الفكرة بدأوا يلتفتون إليها تشويشًا؛ ولذا فإنْ لم يلتفت التونسيون إلى بعضهم البعض محبَّة ومودةً فسيادة تونس وأنموذجها الديمقراطي سينتكسان لا محالة.

أمَّا بقيَّة بلدان المغرب العربي فسياساته مختلفة؛ منها السَّاكن، ومنها المتحرك؛ فالجزائر –أكبر كتلة سكَّانيَّة فيه– والمغرب بينهما نيران الفتنة باستفزازات أصحاب الفكرة توقد بين الحين والحين، والأمر لم يحسم بعد؛ ذلك لأنَّ أصحاب الفكرة يعوِّلون تشويشًا على الدَّاخل المغربي والدَّاخل الجزائري وإن طال زمنه أو تأخَّر قليلًا، وهكذا بالتمام الحال الموريتاني؛

أحزاب مختلفة وأحيانًا تتخالف إلى أن يحسم الأمر وتصبح الديمقراطيَّة بشفافيَّة هي العنوان.

ومع أنَّ أصحاب الفكرة التي لعنَّاها مرات عدَّة لم ولن يسمحوا لوحدة بين العرب، ولا لقيام الدَّولة القويَّة، فإنَّهم بحقٍّ يأملون قيام الدَّولة بلا دكتاتوريَّة قامعة للحريَّة، أي: مع أنَّ صدورهم في بعض الأحيان تضيق من التعدد غير المنضبط بقواعد اللعبة السياسيَّة، فإنَّ لنا في صدورهم مساحة واسعة غايتها أن تمارس شعوبنا الحريَّة بأسلوبٍ ديمقراطي وشفَّاف؛ فعلى سبيل المثال: مع أنَّهم اتفقوا على طي صفحة صدام حسين، وزين العابدين بن علي، وحسني مبارك، ومعمر القذافي، وعلي عبد الله صالح، وكذلك طي صفحة بشار الأسد الذي انقضَّ الأسد عليه لولا أيدي الرُّوس فإنَّهم في زمن الفوضى بدأوا يفكّرون في شخصيَّات لقيادة هذه الدّول؛ حتى يتمكَّنوا من التفاهم معهم بدلًا من دولٍ لا يسودها سوى الفوضى.

ولذا فإنْ أراد العرب كرامة وهويّة وسيادة لشعوبهم فعليهم بطي صفحات الخلاف والفُرقة، وعليهم بقبول الآخر هو كما هو لا كما ينبغي أن يكون عليه من وجهة نظرهم الخاصَّة، وعليهم بالتَّداول السِّلمي على السُّلطة، وطي صفحات الشَّخصنة، والآراء المتأدلجة وفقًا لرؤية شخص دون سواه، وعليهم بالدَّولة الوطنيَّة التي لا سيادة فيها إلَّا للشَّعب، وعليهم بتحدِّي الصِّعاب علمًا ومعرفة؛ بغاية البناء والإعمار وإحداث النُّقلة إلى مأمولات عظيمة تجعلهم قمّة.

ومن ثمَّ فعليهم بطي صفحات التبعيَّة والاعتماد على الأجنبي والاستئساد به على بعض من بني الوطن، أي: عليهم بالعودة إلى عقولهم بوصلة؛ لعلَّهم بها يُرشدون، وعليهم بمد الأيدي إلى أهل العلم والتعاون معهم؛ بغاية المستقبل المشترك إنسانيًّا، وعليهم بإعادة قراءة التَّاريخ؛ ليتمكَّنوا من تصحيح ما قرأوا منه مشوهًا برؤية الأنظمة والحكومات التي زوَّرت تاريخهم وتاريخ كثير من الشُّعوب والأمم، ومن ثمَّ فعليهم بمعرفة أنفسهم إذا شاءوا أن يغيروها، ويجعلوا لها هويَّة وسيادة[54].

---

[54] عقيل حسين عقيل، استرداد السيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م، ص 7 – 25.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدّكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (197) مؤلّفا منها: ستَّةُ موسوعات، وهي:

. الموسوعة القيميَّة لبرمجيَّة الخدمة الاجتماعيَّة (4 مجلَّدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

. موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مُجلَّد)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

. موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلَّدات)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلَّد)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلَّد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة (27 مجلَّد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشريَّة.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركيَّة.

المؤلَّفاتُ

1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 . المفاهيم العلميَّة دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 . البُستان الحُلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيميَّة معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجيَّة القيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيميَّة في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيميَّة في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيميَّة لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيميَّة في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 . ألسنا أمة وسطا، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبُّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النَّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الرّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الرّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الرّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الرّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الرّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الرّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزَات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشريَّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التّأزُّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثِّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصَّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 – كيفيَّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشريَّة (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطَّريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التَّأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التَّاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعيَّة والانسانيَّة، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطَّريقة العلميَّة لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

163- معجزًات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة: 2022م.

164 . أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2022م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشَّيء دراية، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

166 – النُّقلة من التكيف إلى التوافق، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

167 – أوهام الأنا (اللاهويَّة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

168 – استرداد السِّيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م

169 - موت الموت، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

170 – العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

171 – الرِّجال القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

172- الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

173- النشوز والقيم القوَّامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

174 – استطلاع الدراسات السابقة (من حيرة الباحث إلى نيل المأمول)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

175 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (قواعد ومبادئ)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

176 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة، (غرسُ ثقة، تحدّي صِعاب، إحداثُ نُقلة)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

177 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الدور المهني للأخصائي الاجتماعي)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

178 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (من التكيّف إلى صنع الأمل)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

179 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (مجالاتها عمليَّاتها وسائلها)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

180 – الشَّخصيَّة (من الترجّي إلى التحدي)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

181 – الشَّخصيَّة الليبيَّة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

182 – الشَّخصيَّة المتهيّأة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

183 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (دراسة الحالة من النشوز إلى قطع اليد)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

184 – الشَّخصيَّة المتأهِّبة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

185 – الانحراف من النّشوز إلى الضَّرب، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

186 – التدبُّر، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

187 – التفكير (من التذكّر إلى التفكّر)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

188 – الاستنارة (من الاستظلام إلى الاستجلاء)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

189 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (من إنجاز الأهداف إلى نيل المأمولَات)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

190 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (المستويات القيميَّة للتحليل العلمي)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

191- الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الأهداف المهنيَّة وإحداث النُّقلة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

192 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (تحدي الصِّعاب يمكن من بلوغ الغايات)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

193 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (من الإرادة إلى تفعيل المشاركة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

194 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (التطرف بين المعلومة الخاطئة والمعلومة الصائبة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

195 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (كيف تصنع أملا)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

196 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الخوف استطلاع مستقبل من التذكّر إلى التفكُّر)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

197 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (مجالات مهنة واستنارة عقل)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

المؤلِّفُ في سطورٍ

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الثّانية جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشريَّة، الولايات المتحدة الامريكيَّة (جامعة جورج واشنطن) 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عامّا للتنمية البشريَّة بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (197) مؤلّفا منها ستة موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشريَّة.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/